"امانويل كانت" (١٧٢٤-١٨٠٤)

المحاضرة (١)

المصادر التي اعتمدت عليها في الحديث عن الفيلسوف (كانت).

- دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصره/د.يحيى هويدي.
- فلسفة كانت/ اميل بوترُ/ ت.عثمان امين.
- الفلسفة الحديثة/ محمد علي ابو ريان.
- قصة الفلسفة/ احمد امين وزكي نجيب محمود.
- تاريخ الفلسفة الحديثة/يوسف كرم.
- الاخلاق عند كانت/ عبد الرحمن بدوي.
- تاريخ الفلسفة المعاصرة في اوربا/ بوخنسكي.
- نقد العقل المحض/ عمانؤيل كانت/ت.موسى وهبه.
- نقد العقل العملي/ عمانؤيل كانت/ ت. موسى وهبه.
- كانت او الفلسفة النقدية/ زكريا ابراهيم

-الفلسفة الحديثه عرض ونقد /احمد السيد.

-كانت وأنطولوجيا العصر/تحرير أحمد عبد الحليم عطية.

-السلام الدائم/ كانت /ترجمة عثمان أمين.

-قصة الفلسفة من افلاطون الى جون ديوي/ول ديورانت/ت.فتح الله محمد المشعشع.

أ-حياته:

يعتبر(كانت)من أهم فلاسفة القرن الثامن عشر نظرا لما جاء به من افكار فلسفية اثرت على عقول فلاسفة القرون المتتالية،حيث صاغ فلسفة عقلية صارمة تميز بها عن باقي الفلاسفة وتفرد فيها،وهذه الفلسفة انعكست على طبيعة حياته الشخصية.

اذ ان حياته اليومية كانت ذا طابع عقلي، فقد كانت حياته منظمة تنظيما دقيقا تسير كالالة في العمل والراحة والنوم ولا يتخللها حوادث سوى الحوادث العلمية.

ولد كانت(بكونجسبرج) في المانيا من ابوين فقيرين على جانب عظيم من التقوى والفضلية فهي تعتبر المسيحية في جوهرها تقوى ومحبة لله، نشا كانت على هذا المذهب وتشبع به في المنزل والمدرسة والجامعة فكان لذلك اثره في توجيه فكره حتى كون فلسفة تميز تميز واضحا بين صورة خالصة ومادة حتى قال في وصف هذه الفلسة:((اردت ان اهدم العلم(وما بعد الطبيعة) لاقيم الايمان)).

دخل المدرسة وهو في سن الثامنة وبعدها اتجه الى كلية الفلسفة بجامعة مدينته حيث درس اللاهوت لكي يصير قسيسا لكنه عدل عن هذا القصد فيما بعد.

اطلع على فلسفة(نيوتن)و(ليبنتز) و(هيوم)و(روسو) فكانت افكارهم من اهم العناصر التي ساعدت على نمو تفكيره توفي والده فراى ان يكسب رزقه بالتعليم لاحدى الاسر الغنية وزاول هذا العمل في ثلاث اسر على التوالي قضى في ذلك تسع سنين لم ينقطع اثناءها عن التحصيل والتفكير فحصل على درجتين جامعين اولهما بعنوان((في النار)) والثانية ((في المبادئ الاولى للمعرفة الميتافيزيقية ثم عين استاذا خاصا بالجامعة)).

وفي عام (١٧٥٥) بدأ (كانت) عمله كمحاضر خاص في جامعة كونسبرج، وبقى في هذا المنصب خمسة عشر عاما.وعين بعد ذلك أستاذا للمنطق والميتافيزيقا في عام(١٧٧٠). لقد صب كانت حياته في قالب يسوده النظام والدقة ،فكان يستيقظ في الصباح ويبدأ يومه بشرب القهوة فالكتابة فالمحاظرة فالغداء والخروج من منزله يتمشي ويتنزه .وعندما يظهر كانت بمعطفه الرمادي وعصاه في يده على باب منزله، ويبدأ بالسير نحو الشارع الصغير الذي تكتنفه أشجار الزيزفون،يعرف الجيران ان الساعة قد بلغت منتصف الرابعة تماما.

لقد كان(كانت) ضعيف البنية مما اضطره الى التحفظ كثيرا لوقاية نفسه.وكان يعتقد ان الوقاية خير من العلاج واستشارة الطبيب، ولهذا عاش ثمانين عاما.وكتب وهو في سن السبعين من عمره مقالا عن"مقدرة العقل على السيطرة على الشعور بالمرض بقوة العزيمة".ومن بين عاداته المفضلة لوقاية نفسه من البرد الا يتنفس الا من أنفه وخصوصا اذا كان خارج منزله،وكان لا يسمح لاح دان يكلمه في نزهته اليومية في فصول الشتاء والخريف والربيع،اذ سيضطره الكلام الى التنفس من فمه وكان يقول:"الصمت خير من المرض بالبرد".وهكذا ظل متواصلا في عطاءه الفلسفي حتى توفي عام(١٨٠٤).

***اهم مؤلفات كانت هي:**

١. نقد العقل النظري.

٢. نقد العقل العملي.

٣.نقد ملكه الحكم.

٤. مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة.

٥.تاسيس ميتافيزيقا الاخلاق.

٦. رسالة في السلام الدائم.

٧.الدين في حدود العقل الخالص.

وبامكاننا اخذ نظرة عامة عن اهم ثلاث كتب تناول فيها موضوع نظرية المعرفة والاخلاق والجمال:

اخذ كانت عمن سبقوه من الفلاسفة فكرة اثرت عليه تاثيرا كبيرا وهي: انه يجب على العقل ان يقاوم ميله الطبيعي الذي يدفعه الى بناء مذاهب عقلية شامخه الى الاندفاع وراء التفكير المجرد الذي يبعده عن الواقع وهذا ما تناوله في مؤلفه"نقد العقل النظري" ذهب كانت في كتابه"نقد العقل العملي" واسس ميتافيزيقا الاخلاق الى ان القواعد الاخلاقية مصدرها العقل لا التجربة وان هذه القواعد تتصف بالعمومية والضرورة فالعقل هو الذي يمدنا بمعنى الواجب كما يمدنا شروط المعرفة ولم يؤس كانت في نظريته الاخلاقية الاخلاق على الدين وانما فصل بينهما.

*ان معاني(الله+النفس+الحرية+الخلود) هي المعاني التي اثبت في كتابه"نقد العقل النظري" استحالة العلم بها، اذ انه يرى انه لا مانع من أن نؤمن بها بشرط ان لاتؤس الأخلاق عليها.

*وكتابه "نقد ملكة الحكم" يمثل وجهة نظرة في علم الجمال وهو محاولة للتوفيق بين الضرورة العقلية النظرية وبين الحرية. وحاول ان يضع ملاحظاته عن الشعور بالجمال والجلال.

ب-أثر الفلاسفة السابقين فيه(ليبنتز-هيوم-روسو)

لقد تاثر (كانت)بفلسفة (ليبنتز)،حيث دافع عن وجهة نظره التي تقول بان الطبيعة في حركتها تخضع لمبدأ العلة الكافية.وهو المبدأ الذي يقوم على وجود علة سامية موجودة في الكون وتسيطر على كل حركة من حركات الاجسام.وبهذا وصل كانت الى ان الذهن لديه قدرات أصلية تحدد شكل تجاربه .

أما (هيوم)فكان له تاثير كبيرعلى فكره، اذ قال ان هيوم ايقظه من سباته الاعتقادي، اذ اعتقد هيوم ان مبدا العلية ليس قضية تحليلية أي ان المعلول ليس متضمنا في العلة او مرتبطا بها ارتباطا ضروريا وان الضرورة التي تبين له ماهي الا وليدة عادة تتكون بتكرار التجربة .اخذ كانت بالملاحظة الاولى لكنه اعترض على ان التجربة لاتولد الضرورة بمعنى الكلمة، وان العلم قائم على مثل هذه الضرورة وان قيام العلم امر واقع يمنع من قبول الشك ومن الاكتفاء بالتجربة فحسب، فيجب ان يكون مبدا العلية مبدا اوليا في العقل وبفضله تتحول القضية التجريبية الى قضية اولية –كلية –ضرورية، يجب اذن الفحص عن سائر المبادئ الموجودة في العقل وتعيين وظائفها في المعرفة العلمية، وتلك هي الفكرة النقدية التي بنى عليها كانت فلسفته.

وقد قرأ(كانت) ما جاء به(جان جاك روسو)فأعجب بدعوته الى الطبيعة وبتفرقته بين العاطفة والعلم وباحتكامه الى الشعور الباطني ،وكانت قرأة كانت لكتاب روسو الشهير(اميل)و(العقد الاجتماعي) لها أعظم الاثر في توجيه أبحاثه الاخلاقية ،فقد وجد روسو يقول"اننا نستطيع ان نكون اناسا من غير ان نكون علماء".وقد تكون هذه العبارة جعلت كانت يقنع ان مالا يستطيع العلم معالجته تستطيع الاخلاق ان تعالجه.

ج–نظرية المعرفة عند(كانت)(نقد العقل النظري).

كانت نقطة بدء فلسفة كانت هي "العقل الانساني"، لكنه لم يبحث في هذا العقل بحثا سيكولوجيا يريد من خلاله الوصول الى التحليل السيكولوجي لملكات النفس ،وانما كان يريد من وراء بحثه في العقل هو الوصول الى نظرية معرفه قوامها العقل الخالص او المجرد بغية الحصول على افكار صحيحة عن العالم الخارجي.

وهذا ماسنتعرف عليه الان:

تساءل كانت:كيف يستطيع العقل معرفة العالم؟ وماهي الحدود التي يجب ان تقف عندها معرفة العقل للعالم اراد كانت اظهار مقدرة وامكانية العقل الخالص فوضعة فوق المعرفة غير النقية التي تأتي الينا عن طريق المعرفة المشوهة والتي تنقلها الحواس الينا، لان العقل في نظرة يعني المعرفة التي لاتأتي عن طريق الحواس وهي معرفة مستقله عن كل انواع التجربة او الحواس.

ومع تاكيد كانت على اهمية الدور الذي يلعبه العقل في الوصول الى المعرفة اليقينة لم ينسى دور التجربة في مساعدة العقل بتزويده المعلومات التي تستلمها من العالم الخارجي.

لذلك اكتشف كانت هناك تناقضا في داخل العلم بين فروعه فبعض العلم يعتمد على التجربة وبعضه لايعتمدعليها.واذا كان هناك تناقض في التجربة العلمية فهناك ايضا تناقضا في العمل الاخلاقي فهو يعتمد على المبادئ والقوانين الاخلاقية التي يصنعها العقل.

ان اكتشاف كانت لهذا التناقض له اهمية كبرى في بناء مذهبه الفلسفي اذ انه جعل مهمته الاولى ان يجد حلا لهذا التناقض ويوقف في ميدان المعرفة العلمية وفي ميدان الاخلاق بين العقل من ناحية والتجربة من ناحية اخرى.

واخذ كانت يكتشف في داخل التجربة العلمية والاخلاقية الشروط التي يضعها العقل ليفهم بها التجربة وتصبح ممكنة عن طريقها.

لقد كان تصور الفلاسفة الذين سبقوا فكر كانت عن(العقل والتجربة) تصورا استاتيكيا على غرار الاشياء الحسية لكن كانت عدل عن هذه النظرة وقال ان التجربة تحتوي على الكلي والضروري لانها ليست تجربة خالصه بل هي تجربة وعقل او هي تجربة يدخل العقل في كل ثناياها ويؤكد كانت على ان العقل لايمكن فصله عن التجربة نفسها وليس العقل شيئا او جوهرا وانما هو مجموعة من القوانين والشروط التي يشكل بها العقل التجربة يجب اذن عدم فصل العقل عن التجربة وانما يكون احدهما مكملا للاخر ويمكن ان تعطي لهما تصورا دينيامكيا، لكن هذا لن يتحقق الا اذا جعلنا العقل يسيطر على التجربة وجعلنا التجربة مليئة بالشروط العقلية يقول كانت:"ليس هناك تجربة بدون عقل وليس هناك عقل بدون تجربة" ،اذ ان التجربة لاتعطينا شيئا سوى احاسيس منفصلة وحوداث قد تغير تعاقبها في المستقبل ان هذه الحقائق تستمد نوعها الضروري من تركيب عقولنا الفطري، من الطريقة الطبيعية الحتمية التي يجب ان تعمل عليها عقولنا، لان عقل الانسان ليس لوحا جامدا من الشمع تكتب عليه الاحاسيس، والتجربة ارادتها المطلقة والمتقلبة وليس سلسلة من الحالات العقلية انه عضو نشيط يسبك وينسق الاحساسات الى افكار تحول ضروب التجربة الكثيرة المشوشة وغير المنظمة الى وحدة من الفكر المنظم المرتب .لكن المعرفة تبقى غير مكتملة الى ان احدث كانت ماجاء تسميته من قبل الفلاسفة بالثورة الكوبرنيكية من خلال ايجلد التوافق بين العقل والتجربة .

لكننا نتسأل كيف يحدث هذا التوافق؟

بحث كانت عن ما هو ثابت في العقل من مفاهيم وافكار بينما وجدهيوم انه لا وجود للثبات في العقل سوى احساسات متناثرة ومتغيرة وهذا ما اسماه الباحثون بـ(الثورة الكوبرينكية) التي احدثها كانت.

هذه الثورة الكوبرنيكية تبحث عن الثبات في الذات بدلا من البحث عنه في الموضوع وتوضح لنا ان ما يصل الينا عن طريق التجربة متغير وزائل بينما تكون طرق تنظيم هذه التجربة من خلال العقل ثابتة. لذا انكر هيوم وجود مبدأ العلة في

الظاهرة بينما أكد عليها كانت لانها بأعتقاده تفسر العلاقات الموجودة بين ظواهر العالم الخارجي سبب ومسبب.اذا لادراك العالم الخارجي والظواهر المحيطة به يجب وجود المعادلة التالية:

العقل+التجربة+مبدأ العلة

وبهذا تكون المعرفة عند كانت تتكون من نوعين هما:

المحاضرة(٢)

***انواع المعرفة عند كانت:**

يقسم كانت المعرفة الى قسمين:

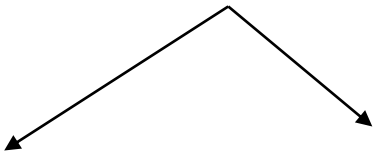

١.قبلي(Apriori)　　٢.بعدي(Aposteriori)

١.المعرفة القبلية:قبل التجربة ضرورية. لاتقوم التجربة بدون هذه المعرفة، عامة، ثابتة، تستمد من العقل.

٢.المعرفة البعدية:تكون هذه المعرفة بعد التجربة، غير ضرورية، غير تامة متغيرة، تستمد من التجربة عن طريق الحواس.

واهمية نوعي المعرفة عند كانت تكمن في صياغة افكار صحيحة عن العالم الخارجي.

وبعد ان تعرفنا انواع المعارف عند كانت نحن بحاجة الى اصدار احكام من قبل العقل نستطيع من خلالها معرفة نوعية الظواهر التي نحن بصددها والحكم يمكن تعريفهبانه توافق الذات المفكرة مع الموضوع المفكر فيهوهو عملية اساسية للفكر التأملي.

من هنا أنبثقت المشكلة النقدية التي واجهها كانت.

***المشكلة النقدية عند كانت:**

المشكلة النقدية التي اثارها كانت تنحصر في الاجابة على السؤال التالي:

كيف يمكن ان تكون الاحكام الاولية التاليفيةممكنة؟كيف يمكن ان يكون علم الرياضيات ممكنا كعلم؟

كيف يمكن ان تكون ممكنة عن طريق الاحتكام الى العقل حيث يستطيع الانسان الوصول الى حكم عام يصدق على جميع امثلة التجربة لذلك حدد كانت ثلاث انواع من الاحكام وهي:

١.الاحكام الاولية التحليلية:وهي الاحكام التي لايضيفمحمولها شيئا جديدا الى موضوعها وتكون مجرد تحصيل حاصل.

٢.الاحكام التاليفيةالتركيبية:وهي الاحكام التي يضيف محمولها شيء جديد الى موضوعها، مثل المعادن تتمدد بالحرارة، وكل القضايا التجريبية تستمد من هذا النوع من الاحكام.

٣.الاحكام التركيبية القبلية:وهي الاحكام التي تتالف من نوعي الاحكام السابقة الذكر، حيث نستطيع من خلالها اقامة العلوم والحصول على اليقين، وهي ضرورية وعامة وثابته وتوجد قبل التجربة ومحمولها يضيف شيء جديد الى موضوعها وتكون الاضافة مرتبطة بالصورة والمفاهيم القبلية الموجودة في العقل ومن خلال هذه الاحكام يصل العقل الى صياغة قوانين علمية دقيقة لكن العقل يمتلك قدرات هائلة يستطيع من خلالها الوصول الى صياغة احكام معرفية وعلمية وهذه القدرات هي(ملكات) يمتلكها العقل، والملكة:هي قدرة يمتلكها العقل وتقوم بوظيفة معينة.

يقسم كانت الملكات الموجود في العقل الى ثلاث اقسام:

١. ملكة الادراك*الحسي او ملكة الاحساس: يتناولها من ما يسمى بـ"الاستطيقا" الترانسندنتالية" أي الادراك الحسي المتعالي ما يتعلق بطريقة معرفتنا للموضوعات وما هو قبلي منها بالذات والجانب القبلي في هذه الملكة تمثل صورتا(الزمان+المكان) القبليتان والزمان والمكان صورتان قبليتان يضيفهما الذهن على الادراكات او كثرة الإحساسات التي يستلمها من الخارج عن طريق الحواس وهنا يمكن ان نعد علم الرياضيات ممكنا لانه يعتمد على صورتي الزمان والمكان ويعتمد على الاحكام التركيبة القبلية.
٢. ملكة الفهم*:تختص هذه الملكة باعطاء الاحكام عن طريق وضع الحس الجزئي الذي تستلمه من ملكة الادراك الحسي ضمن مفهوم كلي للوجود قبليا في الفهم. ويتناول كانت ملكة الفهم ضمن ما يسمى بـ"التحليل الترانسنديلي" والجانب القبلي من ملكة الفهم نجده في الطرق العامة المختلفة التي من خلالها نوحد ادراكاتنا

للاشياء ونحكم عليها من خلال مفاهيم او مقولات عامة تحدد طبيعة مايصلنا من الخارج عن طريق الادراك الحسي.

وهذه الطرق المختلفة للحكم هي البناء القبلي المقولي او التصوري للفهم الذي يقسمه كانت الى اربعه اقسام اساسية تقسم كل منها بدورها الى ثلاثة ويستمدها كانت من المنطق التقليدي وهذه المقولات هي:

١. الكم.
٢. الكيف.
٣. الجهة او الحال.
٤. العلاقة.

ويعني كانت بالمقولات هي المعاني العقلية التي تفرض قبليا وتمثل هذه المقولات اعم ما يقال عن الاشياء او اعم الطرق التي يمكن بها الحكم على شيء ما بانه مثلا (كرسي واحد) او(قطيع من الغنم) او ما شابه ذلك.

وبوجود المفاهيم القبلية يمكن عد الفيزياء ممكنة كعلم.اذن لملكة الفهم تقوم عن طريق المفاهيم القبلية بتوحيد او تركيب ما يصله عن طريق الادراك الحسي في مفاهيم عامة.

ويتساءل كانت كيف نعرف أي مقوله تناسب الحدس الذي يصلنا من الخارج؟

يجيب ان الخيال يمتلك مخططات وهي طريقة عامة او قاعدة لتكوين الصور تحدد طريقة ربط المقولة*بالادارك الحسي او ربما يظهر ويقوم الفهم بعمليات تركيبه توحد او تربط ما حد يصلة من الخارج ولكي يحقق الوحدة التركيبية لكثرة الاحساسات هذه العمليات يلعب الزمان فيها دورا مهما هي:

١. الوحدة التركيبية للادراك او الاستيعاب في الحدس وهي عملية توحيد الكثرة– كثرة الحدس في تمثل واحد.
٢. الوحدة التركيبية للاستحضار في الخيال تعمل على استحضار اللحظات الماضية لربطها مع اللحظات الحاضرة.
٣. الوحدة التركيبية للتعرف على المفاهيم التي تجعل من الممكن التعرف على كل لحظات الادارك على انها ترتبط بموضوع واحد يبقى ثابتا.

الذهن

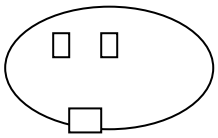

اضافة الى ذلك فان وحدة الوعي تؤمنها وجود ذات واحدة ترافق جميع ادراكاتي وهذا اما يسميه كانت بـ(الوحدة الترانسندنتاليةللادارك الذاتي) والتي يعتبرها الشرط الضروري لامكانيةالادارك حيث يقول: لانا افكر يجب ان ترافق جميع ادراكاتي"أي يجب ان ترتبط جميع اداراكاتي بذات واحد لاتتغير.

محاضرة(٣)

٣.ملكة الذهن*: ان العقل يتقبل مفاهيم واحكام الذهب ويحاول توحيدها في ضوء مبدا اعلى ويحاول التسلسل من الشروط بالتجربة الى اللامشروط في الديالكتيك او الجدل الترانسندنتالي .

بين كانت الاستعمالات المشرعة وغير المشروعة للعقل واثبت بشكل منهجي طبيعة الافكار الترانسندنتالية للعقل النظري المجرد واستعمالاتها المشروعة والصحيحة هذه الافكار الترانسندنتالية هي:

أ. العالم
ب. النفس
ج. الله

وهي الأفكار الميتافيزيقية التقليدية وهذا الجزء من فلسفة كانت يمثل إحدى المحاولات الرائعة لنقد الميتافيزيقا التقليدية وبيان إمكاناتها وحدودها.

يتساءل كانت كيف يتوصل العقل الى هذه الافكار؟

فيجيب:

أ. من الوحدة التركيبية للادراك الذاتي التي يعتبرها كانت الشرط الضروري لامكانية الادراك يحاول العقل ان يتوصل الى جوهر مفكر يكون دائما موضوعاً وليس محمولا وهذا ما نجده في ما يسمى بعلم النفس العقلاني.

يصل العقل الى وجود الجوهر المفكر نتيجة القياس المغلوط الذي يستعمل مفهوم بمعنيين مختلفيين. ويعتبر كانت ان هذا لا يجوز اذ انه يؤكد على اهمية الذات المفكرة كشرط للمعرفة ولايستطيع الانتقال من هذا الشرط المعرفي الى وجود جوهر ثابت هو النفس لانهلايوجد في التجربة ما يمكن ان تنطبق عليه مثل هذه الفكرة

– هنا يطرح السؤال الثالث:هل الميتافيزيقا ممكنة كعلم؟

الجواب يكون بالنفي الميتافيزيقا ليست علما لكنها ممكنة كميل طبيعية او كمعرفة تنظيمية لا كمعرفة بينه ويجد كانت الميتافيزيقا ممكنة كمعرفة تكوينية لان المعرفة التكوينية تنظيم كثرة الاحساسات من التجربة وهذه الافكار لايوجد ما يماثلها في التجربة ولهذا فان الافكار الترانسندتالية الثلاث:

الله	النفس	العالم

لملكة العقل مشروعة كافكار تنظيمية فقط

ب. من ادارك الظواهر ضمن علامة السببية يحاول العقل ان يكمل عملية الوحدة (التركيب) بالتوصل الى وحدة غير مشروطة تعتبر نظاما كليا للعلاقات السببية بمحملها هو العالم وهذا ما يسمى بـ(الكوسمولوجيا) او (علم الكون التاملي)

ويقع العقل فيما يسمى بـ متناقضات العقل حيث يستطيع اثبات قضايا او صفات معينة للكون كالازلية واثبات نقيضها بنفس القوة وبدون وجود اساس من التجربة يمكن ان نثبت منه صدق القضية او النقيض.

وهذا لايجوز أي لايجوز افتراض مثل هذا النظام الشمولي للسببية الذي تسميه الميتافيزيقا التقليدية بالعالم لانهلايوجد في التجربة ما تنطبق عليه مثل هذه الفكرة.

ج. من فكرة العلامة بين تمثلاتتاللاشياء وبين موضوعات الفكر بصورة عامة يحاول العقل التوصل الى وحدة غير مشروطة تمثل الشرط النهائي لامكانية كل ما يمكن التفكير به من هنا يتوصل العقل الى فكرة(الله) كوحدة كل الكمالات في كائن واحد.

هذا ما يسمى بـ (اللاهوت الفلسفي او الطبيعي) وهذه الفكرة غير مبررة في نطاق العقل المجرد لانهلايوجد في التجربة ما ينطق عليها ويحاول العقل النظري البرهنة على وجود الله بدون طائل، كل هذه الافكار للميتافيزيقا التقليدية تنشا من نزعة العقل المجرد لاكمال عملية الوحدة التركيبية التي بدأها الفهم.

(مفاهيم استخدامها كانت) في نقد العقل النظري

- العقل النظري: يختص بمعرفة الظاهرة او الشيء كما يظهر ولا يعرف الشيء في ذاته او كما هو في الحقيقة.
- المقولات:الفحص عن المعاني الذاتية التي تربط بين الظواهر المعروفة في المكان والزمان ربطا كليا والمعاني التي تمتلك قيمة اولية او موضوعية ،فالمقولات اذن هي مجرد روابط لتوحيد التجربة.
- الاحساس: المكون الوحيد للحياة العقلية.
- الادراك :هو تمثيل لموضوع خارجي في موضع عن الحيز، وهو يتجاوز الاحساس.
- الحواس:تربط كل الاجسام التي تحيد بها بضمنها جسمنا.
- الحكم:توافق الذات المفكرة مع الموضوع المفكر فيه، وتعريف كانت ينص على: ان الحكم هو عملية اساسية للفكر التاملي وللعقل.
- الفهم:هو بناء شكل وحس ومعنى لترتيب تصورات ذات معنى.
- الذهن:الشعور بالظواهر النفسية المختلفة.وهو ايضا يقصد به التفكير وقوانينه او مجرد الاستعداد للادراك.

- العقل:ما يميز به الحق من الباطل والصواب من الخطا والاستدلال وخاصة ويطلق على المبادداليقنية يلتقي عندها العقلاء جميعا.

محاضرة (٤)

د-"فلسفته الخلقية"نقد العقل العملي عند(كانت):

يقول كانت:علينا دراسة الطريقة التي ينبغي ان نستخدم بها عقلنا العملي حتى نتحقق من ان هناك حرية اخلاقية هي دعامة كل سلوك عملي في الجانب العملي من العقل بحث كانت عن الاخلاق وكيف يمكننا تحقيق القانون الاخلاقي؟ لتناول ابرز المفاهيم الاخلاقية التي طرحها كانت لكي نفهم هدفه الاخلاقي:

***الارادة الخيرة:**

الارادة الخيرة عند كانت هي الدعامة الاساسية لكل اخلاقية، وهي خيرا على الاطلاق.

يرى كانت ان مواهب الطبيعية التي هي(المال- الجاه- الحظ- السلطة- الذكاء) وغيرها تعد بمثابة خيرات متعددة نرغب في الحصول عليها والتمتع بها لكن هذه المواهب والنعم لايمكن ان تكون بمثابة خيرات في ذاتها لانها قد تستخدم لفعل الخير او لفعل الشر، فهي جميعها لاتصبح خيرة الا بالنسبة الى ذلك المقصد الذي ترجوه ارادتنا من وراء استخدامها. ويضرب كانت مثلا بفضيلة السيطرة على النفس او رباطة الجاش فيقول: ان هذه الفضيلة ليست خيرا في ذاتها لانها لو توفرت لدى المجرم لجعلت منه مجرما خطيراً.

الارادة الخيرة اذن هي خيرا في ذاته لانها تستمد خيراتها من المقاصد التي تحققها او الغايات التي تعمل من اجلها.

واذا لم تحقق الارادة الخيرة ما تريد تحقيقه تظل تسطيع كجوهرة ثمينة لها قمتها في ذاتها ومعنى هذا ان جوهر الارادة الخيرة هو ليس انتاجها او نجاحها انما هو"النية" الطيبة.

والارادة الخيرة لاتستمد خيرتها مما تصنفه او مما تحققة بل تستمد خيرتها من صميم "نيتها" وما دامت هذه الارادة خير بذاتها لا بعواقبها فانة لابد من اعتبار "النية" بمثابة العنصر الجوهري للاخلاقية، والارادة تظل خيرة حتى ولو عجزت ماديا عن تحقيق مقاصدها لانها استخدمت كل ما بوسعها من طاقة ويعارض كانت المذهب الطبيعي العقلي الذي يعتبر الفعل وسيلة لانتاج السعادة ولو كانت السعادة هي غاية الانسان لكان العقل مجرد عقبة في سبيل تحقيقها لان الغريزة والميول الفطرية اقدر على تحقيق السعادة من العقل. اذن الارادة التي تضع نفسها في خدمة امثال هذه الغايات تكون ذات قيمة مطلقة بل ستكون قيمتها نسبية كالوسيلة سواء بسواء.

الارادة الخير اذن هي غاية في ذاتها لا مجرد غاية واسطة يراد من وراءها بلوغ غاية اخرى اعلى منها وهذا هو معنى قول كانت ان الارادة الخيرة"غاية في ذاتها".

ويفسر كانت المحبة التي نكنها لاخواننا في الانسانية على انها من صميم واجبنا فهي ليست ضربا من الشفقة او التعاطف.

***معنى الواجب وخصائصه:**

لقد ذكرنا سابقا ان الارادة الخيرة= هي تلك التي لايكون لها قانون اخر سوى قانون الواجب يفرق كانت بين الواجب والتلقائية المباشرة، فيقول ان الانسان الذي يحافظ على حياته مثلا لا يعمل بمقتضى الواجب حينما يكون فعلة قد صدر عن التلقائية وحدها وعندما يحافظ الانسان على حياته يكون في قراره نفسه قد ترك الحياة وسئم الوجود واصبح يتمنى الموت، وهناك فقط تكون لمسلكه قيمة اخلاقية ولا يصدر الفعل عن مبدأ الواجب عندما يكون مجرد ميل طبيعي دفعنا الى اتيان تصرف مطابق للأخلاق.

وهناك بعض الافراد الذين يعملون تحت تاثير نزوع طبيعي نحو التعاطف او المشاركة الوجدانية فهم قد يأتون من الافعال ليس لها قيمة اخلاقية، اذ ان سلوكهم مفتقر الى المبدا الاخلاقي(مبدأ الواجب) الذي لابد للافعال من ان تصدر عنه وقد يكون فعل الاحسان الذي ياتيه انسان لايشعر بميل طبيعي نحو محبة البشر وهذا يتصف بالصبغة الاخلاقية من فعل رجل محب للبشر لايصدر سلوكه الا عن مجرد ميل طبيعي.

ويفرق كانت بين الاخلاقية والقانونية او الشرعية، فيقول ان "القانونية" تعني ان يتصرف المرء وفقا لما يقضي به القانون او الشرع ولكن من الممكن ان يجيء تصرف الفاعل مطابقا للقانون او الشرع دون ان يكون للفاعل أي فضل اخلاقي.

ويضرب كانت مثلا لذلك بالسرقة، فيقول ان القانون يامرنا بالمحافظة على ملكية الاخرين وما دام المرء لايسرق او يتعدى على املاك الغير فهو يعمل وفقا للقانون ولكن الذي يمتنع عن السرقة قد يصدر في امتناعه هذا عن بواعث متباينة(كالخوف من العقاب او خشية الله، او احترام الراي العام، او الخوف من تانيب الضمير، او التعاطف مع الاشخاص المعتدى على املاكهم...الخ).

وفي كل الحالات لايعد الامتناع عن السرق فعلا اخلاقيا بمعنى الكلمة والفاعل الاخلاقي الذي يسمى فعله"فعلا اخلاقيا" يتضمن القول التالي :((ان واجبي يقضي على بالا أسرق فانا لن أسرق احتراما للواجب وللعقل)) وكل ماعدا هذا يصدر فعله عن مصلحة او حساب نفعي او سعي وراء اللذه او رغبة في اجتناب الالم.

ولكي يصبح المرء شخصية اخلاقية فانه لا يكفي ان يؤدي واجبه ،بل لابد من ان يكون اداؤه لهذا الواجب ناتج عن احترامه للواجب نفسه، أي للقانون الاخلاقي باعتباره قانونا كلياً أولياً ضروريا.

وحينما يصدر الفعل عن الواجب فان قيمته الخلقية لا تتوقف على النتائج التي يحققها او الغايات التي يسعى نحو الوصول اليها وانما تتوقف هذه القيمة على المبدأ أو القاعدة التي يستوحيها الفاعل في ادائه لهذا الواجب.

ومعنى هذا ان القيمة الاخلاقية لأي فعل ما من الافعال انما تكمن في مبدا الارادة بغض النظر عن الغايات التي يمكن ان يحققها مثل هذا الفعل.ولهذا يقرر كانت ان صدور الفاعل الاخلاقي عن الشعور بالتعاطف او المشاركة الوجدانية او المحبة لا يجعل لفعله ادنى قيمة اخلاقية. اللهم الا اذا كان الفاعل على وعي تام بمبدا الارادة الذي ينبغي له ان يصدر عنه في فعله.

محاضرة (٥)

ويتحدد الواجب وفقا للمبدا الاولي الصوري للارادة دون ادنى اعتبار للرغبات او الاهواء او الميول او الغايات المادية، لان مثل هذه الغايات او الدوافع او البواعث لن تكون سوى ظواهر تجريبية ناشئة عن قوى الرغبة في الانسان يعرف كانت الواجب:(انه ضرورة اداء الفعل احتراما للقانون)، ومعنى هذا ان الواجب لايسند الى العاطفه او الوجدان كما انه لايقوم على التجربة خارجية كانت ام داخلية(باطنية) بل هو يقوم اولا على احترام القانون وهذا الاحترام ينشا فينا تلقائيا بفعل العقل نفسه لذلك كان احترام القانون هو الباعث الاخلاقي الوحيد، وما يحدد الارادة ليس هو أي مضمون تجريبي بل هو الصورة الخالصة للقانون.

ويتخذ القانون الاخلاقي طابع الالزام لا الضغط ويتجلى على شكل نظام اخلاقي لاضرورة طبيعية وهذا هو السبب في ان "الاخلاقية" تفترض انتصارا للارادة على الطبيعة او الزاما ما تمارسه الذات على نفسها وتضحية بمظاهر الاشباع الدفئ للغرائز في سبيل الخضوع لاؤامر العقل لمجرد انه العقل.

وما دامت الصبغة الاخلاقية للافعال تكمن في باطن النية، لافي مظاهر تصرفتنا الخارجية فانة لايكفي لكي يكون الفعل اخلاقيا صادرا عن تقدير لمبدا الواجب، وهنا تظهر صرامه الاخلاق الكانتية، فالواجب عند كانت يبدو كانة موجه ضد الطبيعة ،فضلا عن ان الحياة الاخلاقية كلها تبدو كانها هي سلب لميولنا الطبيعية.

ويدعو كانت الى التغلب على جميع العوائق حتى يكون تمسكنا بالعقل مظهرا لاستجابه رسالتنا الحقيقية، وبذلك صل الى ماهيتنا المعقولة ذاتها. وما يسميه كانت باسم"المعقولية" انما هو الطابع الاساسي الذي يكون ماهية"الفعل الاخلاقي".

*ومن أهم خصائص الواجب:

١. انه صوري محض، بمعنى انه تشريع كلي او قاعدة شاملة لاصلة لها بتغيرات التجربة، ولما كان الواجب هو والعقل النظري شيء واحد، فان الواجب لايقوم على أي اعتبار عملي او تجريبي، بل هو مبدأ صوري خالص.ان قيمة الواجب كامنة في صميم الواجب نفسه بغض النظر عن ايه فائدة او منفعة او كسب مادي والانسان هو الكائن الوحيد الذي يعمل الواجب عالما في الوقت نفسه ان قيمة الفضيلة انما تزيد كلما كلفتنا الكثير، دون ان تعود علينا باي كسب.

٢.انه منزه عن كل غرض، بمعنى انه يطلب لذاته، فليست الاخلاق هي المذهب الذي يعلمنا كيف نكون سعداء، بل هي المذهب الذي يعلمنا كيف نكون جديرين بالسعادة.

معنى هذا ان علينا ان نعمل واجبنا فاذا ما اديناه كان لنا ان نبحث فيما اذا كان الفعل الذي حققناه يتضمن اولا الايمان بامكانية تحقق الخير الاقصى لذلك الشخص الذي هو جدير به.

٣.انه قاعدة لا مشروط للفعل، بمعنى انه لاسبيل الى تاسيس الواجب على شيء اخر او ارجاعة الى أي شيء اخر، مادام الواجب هو الدعامة التي يستند اليها كل تقدير عملي وكل حكم أخلاقي.

محاضرة (٦)

ولكي يصل كانت الى صياغة القانون الاخلاقي عليه ان يلجأ الى (الاوامر)فماهي هذه الاوامر؟

يرى كانت انه لو كان الانسان عقلا محضا لاتجه بطبيعته نحو الخير لتحقيق التطابق بين ارادته وعقله.

ولكن لما كان الموجود البشري مزيجا من الحس والعقل، فانة يتصور الخير، ويقدم مع ذلك على ارتكاب الشر ومعنى هذا ان الارادة البشرية خاضعة لدوافع حسية معارضة للعقل ولذلك فانها كثيرا ما تحقق من الافعال ما يتعارض مع القانون ومن هنا كانت حاجة الارادة الى اوامر ملزمة تكرهها على اداء ما اعتبره العقل خيرا.

ان الارادة البشرية هي في حاجة الى مثل هذه الاوامر حتى تحقق تصرفاتها وفقا لما يقتضي به القانون الاخلاقي وعندما يتحدث كانت عن "الاوامر" فانة يعني ان الاخلاق تضعنا في مستوى يعلو على مرتبة الطبيعة، وهو يسمى قوانين العقل العملي باسم"الاوامر" لانه يرى انها تتعارض مع اهوائنا فتخاطبنا بلهجة الامر والسيد الذي يلزمنا باتباع اوامره ويعرف كانت "الاوامر" فيقول "انها صيغ تعبر عن علاقة قوانين الارادة على وجه العموم بالنقص الذاتي المميز لارادة هذا الموجود الناطق او ذاك ،كما هو الحال مثلا بالنسبة الى الارادة البشرية".

ونتسائل لماذا لايجعل كانت من اللذه او المنفعة قانونا عمليا ؟

ان اللذه او المنفعة لاتحدد الا تبعا لملاءمتها لميل كل ذات على حدة،بحيث ان مبدا السعادة نفسه لا يمكن ان يرقي بنا الى مستوى يعلو على الميول الذاتية،يرى كانت انه بالرغم من محاولتنا على جعل "اللذة" او "السعادة" قانونا عمليا كليا، فستظل السعادة التي ينشدها كل فرد منا حقيقة ذاتية تضع صاحبها في تعارض مع الاخرين .

يفرق كانت بين نوعين من الاوامر:

اوامر شرطية مقيدة	اوامر قطعية مطلقة
القاعدة:"من اراد الغاية فقد اراد الوسيلة" يلزمنا باتباع الوسائط اللازمة لبلوغالغايات المنشودة مثلا:اذا اردت ان تحيا سعيدا فكن صالحا او "اذا اردت ان تكسب ثقة الناس فقل الصدق دائما"	(ما يلزمنا امر ضروري في ذاته بصرف النظر عن نتائجه او غاياته) نقول مثلا:"كن خيرا" او "قل الحق دائما" وهنا لايكون فعل الخير او قول الحق وسيلة للحصول على امر ما كائنا ما كان بل يكون مجرد تصرف نزيه نلتزم فيه اصول الخير، او نحترم فيه مبادئ الحق لاننا هنا بازاء قانون اخلاقي.

–ومعنى هذا ان الاوامر الشرطية المقيدة هي مجرد احكام تحليلية تقتضيها دواعي المهارة او الحكمة او السعادة وتنطوي فيها فكرة "الغاية" المرادة على فكرة "الواسطة" التي لابد من استخدامها في حين ان الاوامر القطعية المطلقة هي احكام تركيبيه اولية تربط الارادة بالواجب في استقلال تام عن أي مفهوم تجريبي.

وعندما نقول ان الاوامر القطعية المطلقة تلزمنا الزاما، دون ادنى قيد او شرط فنحن نعني بذلك انها ليست مقيدة بشروط تجريبية او بظروف خارجية، بل هي كلية شاملة تعبر عن عمومية القانون الاخلاقي.

ومن هنا فان الفرق بين "الامر الشرطي" والامرالمطلق هو ان الفعل في الاول منهما ليس خيرا الا باعتباره وسيلة للحصول على شيء ما، في حين ان الفعل في الثاني منهما متصور باعتباره خيرا في ذاته ان كل الاوامر الشرطية المقيدة سواء كان الغرض منها تحقيق مقصد معين ام بلوغ السعادة بصفة عامة انما هي نصائح عملية تتصل بفن الحياة او فن السعادة دون ان تكون لها صبغة الالزام المطلق او الضرورة العامة.

اما الاوامر القطعية المطلقة فهي مبادئ اخلاقية تجعل فكرة القانون وتشتمل في صميمها على مفهوم الضرورة اللامشروطة الموضوعية وبالتالي فانها اوامر كلية شاملة لاتنطوي على أي اعتبار لفكرة الغايات او الدواعي المستمدة من التجربة في حين ان الاوامر الشرطية المتعلقة بالسعادة لاتخرج عن كونها نصائح تجريبية قاصرة بطبيعتها عن ان تصور

لنا بعض الافعال بصورة الافعال الموضوعية الضرورية التي لاغنى عنها للوصول الى السعادة نجد ان الاوامر المطلقة المتعلقة بالاخلاق هي في صميمها اوامر ضرورية كلية سابقة على كل تجربة.

ويقرر كانت ان الامر المطلق وحدة هو الذي يتمتع بصفة "القانون العملي".

هـ-الدين والعقل عند كانت:

لقد الف كانت كتابه (الدين في حدود العقل) عام(١٧٩٣) وهو لم يضع العقل في أطر دينية بل العكس وضع الدين في أطر العقل وحده.وعمل على تتبع المراحل التي مر بها التفكير الديني في المراحل المختلفة التي مر بها تفكير كانت بالاضافة الى محاولة الكشف عن دور الدين في تشكيل المذهب الفلسفي ودور الفلسفةفي تكوين التصور الديني . ان كانت نظر الى العقل والدين بمنظار العقل والاخلاق،اذ ان الاخلاق عند كانت تؤدي الى الدين وهذه الاخلاق تقوم على العقل فالدين ايضا يقوم على العقل وهو دين عمل داخلي وأخلاقي خالص وذلك لانه يريد ان يؤسس الدين على الاخلاق فجعل دوره عباره عن ان يبرز فينا التأمل في ان نشارك بأفعالنا المنعزلة في ذاتها، في تحقيق نظام أخلاقي قوامه الانسجام بين العدالة والسعادة. فالدين يعتمد على النوازع الخلقية السامية الكامنة في اعماق الانسان لذا يقرر ان المبادىء الاساسية في(العقيدة الدينية) ليست الا امور يفترضها (الشعور الخلقي) في الانسان، ويحاول ان يثبت وجود الله وذلك بأقامة براهين تقوم على قوانين عقلية حقيقية مستمدة من الاخلاق.

اكد كانت على استحالة البرهان الانطلوجي على وجود الله معتبرا ان فكرة وجود الله هي كمال لايمكن بلوغه كما انه رفض جميع البراهين التي اطلقها الفلاسفة حول وجود الله كالبرهين التأملية والغائية والاستشراقية.

لذلك اكد كانت على ان الدين ليس عقيدة نظرية بل فعل خلقي باطني أو عبادة روحية خالصة وهنا نراه يضع الشعور الاخلاقي في منزلة أرفع من العقائد والطقوس الشكلية او العبادات الخارجية.

و-اراءه السياسية:

لقد كان كانت اكثر الفلاسفة عناية بمسألة السلم وله الكثير من الاراء في مسائل الحقوق الدولية في فلسفة التاريخ وهو واضع مصطلح (عصبة الامم) وكتابة (مشروع السلام الدائم) الذي اعلن فيه ان انشاء حلف بين الشعوب هو السبيل الوحيد للقضاء على شرور الحرب .

يرى كانت ان الانسان مدني بالطبع وهو دائما عضو في مجتمع فينبغي ان لايكون ذلك المجتمع همجيا.لقد اراد كانت التوصل الى مبادىء فلسفية يبنى عليها نظاما داخليا عادلا ويكون دعامة للسلام الدولي فقد كان يريد ان يقدم مصادقة فلسفية على حكومة نيابية دستورية وهي المصادقة التي تكفل الحقوق السياسية لجميع الافراد.

ان نظرية كانت السياسية هي بالنسبة له تعادل في اغلب الاحوال اسس ميتافيزيقا القانون هي حتما جزء لايتجزء من المبادىء والفرضيات الاخلاقية . وهذا يرجع الى ان السياسة تتناول مسألة ما الذي ينبغي ان نقوم به في بيئتنا الاجتماعية والسياسية ، او بمعنى آخر هي تختص بأرساء المعايير والضوابط التي تكمكننا من تسوية الصراعات العامة التي تقوم على المصالح ، ويقضي مبدأ الكلية هذا ان تكون علاقتنا الاجتماعية والسياسية محكومة وان تتم تسوية صراعاتنا العامة على نحو كلي وشامل وهذا بالضرورة يقتضي وجود قانون.

ويرى كانت انه يجب ان تتحقق حرية الفرد في المجتمع وهي اول حق رئيسي للمواطن داخل الدولة اما المساواة فهي الحق الثاني حيث يجب ان يتساوى الناس امام القانون ولاينبغي ان يقوم التشريع بأي استثناءات ولاينبغي عند تنفيذ القانون ان يسمح بأي منها.أما ثالث هذه الحقوق الرئيسية فهو الاستقلال ويقضي بأنه ينبغي على كل مواطن ان يحصل على حق المشاركة في الحكومة ولاينبغي على ان يقوم بذلك مباشرة ولكن بصورة غير مباشرة بواسطة استخدامه لصوته.ويرى كانت ان ما نحتاجه هو الارادة الملزمة لكل فرد على حد سواء أي ارادة عامة وجماعية وهي تعطي الامن للجميع . وقد استعان كانت بالعقد الاجتماعي في تفسيره لوجود دولة تحكم شعبا وفقا لنظام من القوانين المدنية.وتعني فكرة العقد الاجتماعي لكانت ضرورة وجود دستور مدني وهذا الدستور يتحقق في ظل العدالة وفقا للقانون.

ويرى كانت ضرورة وجود حكم جمهوري يحترم القانون والدستور من اجل سيادة النظام في المجتمع.

ز-نص فلسفي لكانت من كتاب"نقد العقل النظري":

"ان المقولات ليست مبادىء معرفيةأولى قبلية ومفكرة وتلقائية ،ولا مبادىء مستمدة من التجربة ،بل أستعدادات ذاتية للتفكير مغروسة فينا هي ووجودنا معا، وان الخالق قد نظمها بحيث يتوافق أستعمالها بدقة مع قوانين الطبيعة التي بموجبها تجري التجربة".

-نقد العقل المحض/تأليف:كانت/ت:موسى وهبه،مركز الانماء القومي ،لبنان-بيروت،١٩٩٠،ص١١٣.

محاضرة (٨)

جورج ولهلم فردريك هيجل(١٧٧٠-١٨٣١)

المصادر التي اعتمدت عليها في هذه المحاضرة:

١. تاريخ الفلسفة الحديثة/ وليم كلي رايت/ت محمود سيد احمد. ومراجعة تقديم.أمام عبد الفتاح.
٢. دراسات هيجلية/.أمام عبد الفتاح أمام وبإمكاننا الرجوع الى:
٣. تاريخ الفلسفة/ اميل برهيية: القرن التاسع عشر.جورجطرابشي.
٤. فلسفة هيجل/ عبد الفتاح الديدي.
٥. هيجل والهيجلية/ رينيةسيرور/ ت. نهاد رضا

أ-حياته ومؤلفاته:

تطور فكر جورج فلهلم فردرش هيجل(١٧٧٠-١٨٣١) F.W.F. Hegel، اعظم فيلسوف الماني منذ كانت، تأثر بكل من فشته او شلنج، ربما لانه كان اكثر دقة، وعلى اية حالى فقد نجح في النهاية ان يقدم للعالم نسقا من المثالية اكثر معقولية وشمولا.ينحدر هيجل من اسرة من طبقة اعلى من المتوسطة كانت تعيش في ((شتوتجرت)) وعندما كان طالبا مع شلنج في مهعد ((توبنجن)) كان يبدو انه واعد ولكن بدرجة اقل من شلنج، على الرغم من انه كان اكبر منه بخمس سنوات وبعد ان ترك الجامعة، عمل مدرسا خصوصيا متواضعا خلال السبع سنوات بين عام ١٧٩٤ وعام ١٨٠١، التي اصبح اثناءها شلنج مشهورا. وجاء الى ((ينا)) عام ١٨٠١كمعلم وعاون شلنج في تدعيم موقفه الفلسفي، فقام شلنج بمساعدته بطرق كثيرة. بعد ان ذهب شلنج الى((فورتبورج)) ظل هيجل في ((ينا)) وحصل على الاستاذية في عام ١٨٠٥. واصبح الان على استعداد لان ينسلخ عن شلنج الذي سخر منه عندما قدم وجهات نظره عن العالم في كتابه((فينومنولوجيا الروح)) وكان هيجل يقدر هذا الكتاب تقديرا كبيرا من حيث انه اكثر كتبه اهمية، على الرغم من واقعة مؤداها انه كان مضطرا الى ان يكمل اجزاءه الاخيرة المهمة بسرعة، ويدفع بالمخطوطة الى صاحب المطبعة قبل حرب بينا عام ١٨٠٦.

واختل النظام في الجامعات، بعد تلك المعركة، التي جلبت الخراب على الالمان. وفقد هيجل استاذيته، واضطر الى ان يعول اسرته بقدر ما يستطيع، فعمل لمدة سنتين رئيسا لتحرير الصحف اليومية. ولمدة ست سنوات ناظرا في احدى مدارس البنين وبالرغم من اضطرابات تلك السنين، فان هيجل استمر في العمل بمثابرة، واكمل بحثه الاكثر احكاما وهو

((علم المنطق)) (يشار اليه غالبا- بـ"المنطق الكبير) وقبل في عام (١٨١٦) الاستاذية في جامعة ((هيدلبرج)) حيث نشر بيانا شاملا لمذهبه، اعنى((الموسوعة)) (التي تتكون من "المنطق الصغير") و((فلسفة الطبيعة)) و((فلسفة الروح)) واستدعى في عام ١٨١٨ الى برلين بوصفه الرجل الذي يستطيع ان يملا بجدارة كرسي الفلسفة الذي كان شاغرا منذ وفاة فشته واثناء اقامتة في برلين نشر كتابه (فلسفة الحق) والقى سلسلة من المحاضرات العديدة (التي نشرت بعد وفاته)، طبق فيها منهجة على تفسير التاريخ، والفنون الجميلة، والدين واحتفظ بقيادة الفكر الفلسفي في المانيا حتى وفاته نتيجة لاصابته بوباء الكوليرا عام ١٨٣١.

وكانت شخصية هيجل غير عادية في بعض الجوانب فعندما عارض اسلافة المباشرين مثل فشته وشلنج كان يبدو موضوعيا بصورة لافتة للانظار ولم يعمل مبشرا مثل فشته، ولم ينغمس في شطحات سارة مثل شلنج والرومانسيين الاخرين وكان همه الوحيد ان يفهم العالم كما هو، وان يفسر كل شي تفسيرا منطقيا. ومن الصواب ان نقول ان محاضرات برلين، كشفت عن استبصار ملحوظ في جوانب الحياة التي هي بطبيعتها وجدانية الى حد كبير، مثل الفن، والشعر، والدين. ولم يكن في استطاعته ان يفهم تلك الجوانب فهما جيدا كما فعل، اذ لم يكن قد خبر مشاعر الاخرين. غير ان ذلك لم يظهر في كتاباته ابدا على الاطلاق فهو يصف تجارب النفس الداخلية بنزاهة كما يفعل العالم الذي يصف وهناك وجه اخر من شخصية هيجل، لابد ان نذكره عابرين، وهو ولعه بالمفارقات فمنذ طفولته وما بعدها كان مزاجه الجاف يستمتع بلفت الانتباه الى حقائق ووقائع تبدو غير متسقة مع انها يجب ان تقبل ويتم التوفيق بينها بطريقة ما.

وربما كان هيجل اعظم الفلاسفة ثقة بنفسة، فقد كان على يقين انه فسر البناء الروحي للكون تفسيرا مقنعا وحتى الله كما لوحظ لم يسمح له- فيما يبدو بأية اسرار يعجز عقل هيجل عن كشفها ومع ذلك فنادرا ما يثير هيجل ذلك النوع من العداء الذي احدثه فشته في بعض القراء. ولم يتحدث هيجل عن نفسه ابدا، وانما يضع امامنا مسار الواقع بهدوء على نحو ما يعتقد انه كذلك بالفعل، دون الكشف عن أي اهواء شخصية او احكام مبسترة او عواطف ويعتقد المعجبون بهيجل حتى اليوم انه وصل الى قمة التفكير الفلسفي:اذ يظهر لاول مرة في التاريخ غرض مقنع ((للفلسفة الكلية)) التي تقدم نحوها الفلاسفة السابقون جميعا ببطء شديد فعلى حين انهم سلموا باخطاء عارضة في صياغة هيجل، ولفتوا الانتباه اليها، فقد اصروا على ان نتائجه الاكثر اهمية ستبقى طوال الزمن الحقيقة النهائية في الفلسفة الهيجليون، من جانبهم متسامحون ومتعاطفون على الرغم من تصنعهم الى حد ما فكل فلسفة اخرى تحتوي على قدر ملحوظ من الحقيقة ولا تحتاج الا ان تكمل نفسها، وتصحح في الضوء الكامل للمطلق او في المثالية الموضوعية عند الهيجليين.

***المفاهيم الاساسية في فلسفته:**

يتفق هيجل مع فشته وشلنج على ان الواقع النهائي او الكون، هو روح مطلق او روح تمر خلال مراحل من التطور في الزمان، وتصبح واعية بنفسها في العقل البشري، مع ان هذا المطلق لا زماني وازلي، ويشمل كل شيء ومكتمل بذاته ويزعم هيجل انه يبين عن طريق منهجه المنطقي(الذي يسمية بالجدل) كيف يرتبط كل شيء من حيث المبدا بكل شيء اخر ويساعد في تكوين ذلك الكل الواحد ولا يسير منهج البرهان عند هيجل في خط مستقيم على نحو ما يفعل المنهج عند ديكارت، اذ انه لم يبدا بقضية بسيطة لايمكن الشك فيها، ويحاول ان يبرهن على كل خطوة متتابعة في حجته العظيمة بطريقة رياضية وانما النسق عنده هو نسق تضميني بمعنى ان كل من اطوار الحجة يتضمن بقية الحجج كلها وهذا الاعتماد المتبادل بين جميع التفصيلات وشمول التفسير الذي يكون فيه كل شيء متضمنا بلا التباس او عدم اتساق في أي مكان يبرهن على حقيقة النسق ككل والنسق الذي يتم فيه تفسير كل شي بطريقة واضحة ومتسقه لابد ان يكون صادقا لان((الحقيقة هي الكل)) ان الحجة في كل مكان عقلية لان((الواقعي عقلي)) و((العقلي واقعي)).

واحد المفاهيم الرئيسية عند هيجل هو تصور (علاقة الكل باجزائة) ان أي جزء من الكل هو على ما هو عليه يصل علاقته بالنسق ككل وبالاجزاء الاخرى. وربما نلاحظ ذلك بصورة اكثر وضوحا في الكائنات الحية. ففي أي كائن حي، يكون كل عضو على ما هو عليه لانه جزء من كل ولا يمكن ان ينشا جزء او يبقى اذا لم تدعمه الاجزاء الاخرى ويساعد هو في تدعيمها.(وهذا التفسير للكائنات الحية، الذي ربما يدين به هيجل لارسطو، الذي يدين له بطرق كثيرة، هو تفسير صحيح، على الرغم من انه قد يكون في نبات ما او حيوان ما اجزاء قليلة ليس لها فائدة او حتى اجزاء ضارة مثل الزائدة الدودية في الانسان، وقد اهمل هيجل هذه الاستثناءات) وقدم هيجل مفهوم العلاقة بين الاجزاء والكل في الكائن الحي الى كل حقيقة وواقع فكل حقيقة او واقعة Fact تعتمد على حقيقة اخرى او واقعة اخرى، وتساعد بدورها في تحديدها. وقد عرف هذا المذهب منذ عصر هيجل((بالنظرية العضوية للحقيقة والواقع)) (لان كل شيء محدد تحديدا داخليا عن طريق علاقاته بكل شيء اخر) من حيث انه يعارض المذهب المقابل وهو ((تخارج العلاقات)) الذي نجده عند لوك.

وينتج عن ذلك التصور ان أي كل عضوي هو اكثر من مجرد المجموع الرياضي لاجزائه ومن الواضح ان تلك هي الحال في حياة النباتات والحيوانات وعمل الفن الناجح هو ايضا كل عضوي بالمعنى الهيجلي لاننا لا نستطيع ان نفهم معنى صورة ما ببساطة عن طريق تحليل التركيب الكيميائي للقماش والالوان المختلفة، مع انها اساسية ولا يمكن ان توجد الصورة بدونها. ولا تستطيع ان تقيم الرسم عن طريق دراسة كل صورة بذاتها. اذ ان لكل صورة علاقة فنية بالباقي، فهي جزء من كل واحد، والدلالة الحقيقية لهذا الكل ليست مجرد اضافة لأجزاء مختلفة ومع ان الكل ليس شيئا منفصلا عن الأجزاء موجودا بصورة مستقلة، بل هو ببساطة تلك الأجزاء ماخوذة معا في وحدتها ويحدد الكل من الناحية المنطقية طبيعة كل جزء واذا كان الفنان ناجحا، فان كل تفصيل في اللوحة التي رسمها، يساهم في الكل الذي تصورة من قبل ان الحقيقة الواقعية او المطلق كل لامتناه، مكون من اجزاء متناهية كل جزء يساهم في الكل ويتحدد بواسطته.

ودعنا نقترب من تصور هيجل للمطلق بطريقة اخرى خذ أي لحظة معينة في حياتك الواعية- ولنقل اللحظة الحاضرة هي منعزلة عن كل اللحظات الاخرى- أي انك لا تتذكر ولا تحتفظ بأي شي من خبرته السابقة في ظل ظروف كهذه فان احساسات اللحظة الحاضرة لاتعني شيئا على الاطلاق بالنسبة لك ان اللحظة الحاضرة التي تحاول فيها ان نفهم خاصية من خصائص فلسفة هيجل، لايمكن ان يكون لها معنى بالنسبة لك الا من حيث انها مرتبطة ارتباطا عضويا بما تعلمته في لحظات ماضية بحيث تلقى ضوءا على اللحظة الحاضرة، بينما تلقى عليها ضوءا اضافيا ان كل خبرة من خبراتك طوال حياتك الواعية باسرها هي جزء من كل يتضمن خبراتك الماضية، ويعد لخبراتك في المستقبل ولاتكون شخصيتك ما تكون عليه في أي لحظة حاضرة مأخوذه بذاتها لان ما تكون عليه هو حياتك مأخوذة بوصفها كلا عضويا باستخدام مصطلح هيجل.

ان كل لحظة في تجربتك الواعي جزء عضوي من حياتك منحيث انها كل وتكون حياتك من حيث انها كل مشروطة بالمجتمع البشري والمجتمع البشري مرتبط بالارض. والارض جزء عضوي من الكون باسره وكل منا جزء عضوي وهذه الحقائق تعرفها انت وانا- وهو يقول يمكن ان يعكس ليعنى ان الكون او المطلق يصبح واعيا بذاته وبعلاقاته الداخلية بداخلنا، لاننا اجزاء منه اننا لا نتصور المطلق على انه شيء موجود في الزمان سابقا على العالم وينتقل لخلقه، لان المطلق هو العالم في وحدته وكمالة ان المطلق ليس محددا في زمان ومكان لانه يتضمن كل زمان ومكان في فكره اللامنتاهي الذي يشمل كل شيء. واصبح المطلق الكون فقد نثق في ان قوانين ذهننا هي قوانين الكون، لان ما هو عقلي واقعي وما هو واقعي عقلي.

وقد اثارت مسالة ما اذا كان هيجل يتصور المطلق والى أي حد على انه يعى ذاته بغض النظر عن البشر الذين وصلوا متاخرين الى الارض- خلافات بين اتباعه بعد وفاته ويفترض الاهتمام الاصلي بالدين الذي ادى بهيجل في البداية الى الفلسفة وايضا المعالجة المتعاطفة التي يقدمها للدين وبصفه خاصة للمسيحية انه ربما تصور المطلق على انه عقل او روح كامل منذ الازل ولا يعتمد على الموجودات البشرية لمعرفة وجوده الخاص ومع ذلك فان البشر عند هيجل والهيجليين، تقع عليهم مسؤولية حقيقية في الكون باسره،لان فيهم وحدهم على حد علمنا ظهرت اذهان متناهية تستطيع ان تستدل وتصل الى فهم العالم وفهم انفسهم ويؤكد الهيجليون كرامة البشر واهميتهم، وهم يعلمونهم احترام انفسهم وستخدم هيجل مصطلحي((العيني والمجرد)) على نحو فريد فاذا نظرت الى أي شيء بذاته بغض النظر عن علاقاته فانك تنظر اليه نظرة مجردة، اما اذا نظرت اليه في علاقاته العضوية فانك تنظر اليه نظرة عينية ان قطع ورقة من شجرة ووضعها تحت المجهر، يعني النظر اليها نظرة مجردة، لكن النظر الى الورقة في علاقتها بحياة الشجرة يعني النظر اليها نظرة عينية فمن حيث ان الفحص المجهري يساعد المرء في ان يفهم وظائف الورقة في حياة الشجرة، فانه يساهم بالتاكيد في فهم اكثر عينية والنظر الى أي لحظة منفصلة من لحظات تجربتك بذاتها هو نظرة مجردة للغاية والنظر الى نفسك على

انك عضو في المجتمع هو نظرة عينية ان مصطلحي المجرد والعيني هما بالتاكيد لفظان نسبيان فالتصور الاكثر تجريدا الممكن هو ذلك التصور لوجود محض بغض النظر عن أي تقرير اضافي عن طبيعة ذلك الوجود وعلى النقيض يكون المطلق فقط عينيا تماما ان شريحة معينة من المعلومات مثل((سقوط الاجسام الثقيلة)) هي اكثر تجريدا من قانون الجاذبية الذي يقرر مبدا محددا يمكن تطبيقه على كل جزء من المادة في الكون، ويكون من ناحية اخرى، أي قانون من قوانين علم الطبيعة مجردا مقارنة بالفلسفة التي توحد كل المعرفة في نسق متماسك.

محاضرة (٩)

ويميز هيجل بين المجرد والكلى العيني خذ مثلا هذا المصطلح((انسان) الذي يعرفة المنطق الصوري العادي بانه((الحيوان العاقل)) هذاالتعريف مجرد، لانه يحذف كل سيظل اكثر تجريدا ويعني ضمنا صفات اقل ويزعم هيجل من ناحية اخرى ان مقولاته المنطقية ليست مجردة لكنها كليات عينية أي انها تتضمن كل الاختلافات المحددة داخل ذاتها والمطلق عند اسبيوزاوشلنج(في مرحلته الثالثة) هو كلى مجرد لانه هوية محض فالمرء لايمكنه ان يقول عنه سوى انه موجود فحسب وكل الاختلافات المعينة هي تحديدات ويجب حذفها منه وهذا هو السبب في مقارنة هيجل مطلق اسبينوزا بعرين الاسد في حكاية ايسوب، والسبب ايضا فيقوله بان مطلق شلنج يشبه((منتصف الليل الذي تكون فيه كل الابقار سوداء)) اما مطلق هيجل فهو، من ناحية اخرى عيني تماما فهو الواقع كله متضمنا بداخل كل وليس شيئا منعزلا عن الاشياء الاخرى.

وهيجل مثل باركلي، فيلسوف مثالي غير ان مثاليته مختلفة تماما لان باركلى من المؤلهةTheist، فالله يعطينا الافكار غير الارادية التي تؤلف عالمنا الخارجي ومن ثم يخلق الله العالم وله وجوده الخاص من حيث انه روح مستقل بغض النظر عن خلقه ونحن نعرف كل ذلك طريق فحص افكارنا المعطاه تجريبيا ولذا فان باركلي فيلسوف مثالي مؤله اما هيجل فهو فيلسوف مثالي عقلي يؤمن بمذهب((وحدة الوجود)) فالمطلق هو العالم في وحدته الاصلية، وليس خالقه وذلك هو مذهب وحدة الوجود الخالص، على الرغم من ان هيجل يكره هذه الكلمة(وحدة الوجود)، التي كانت تستخدم في عصره باستمرا لكى تعني مذاهب وحدة الوجود الفجة في الهند التي تنظر الى العالم على انه((المايا))Maya أي الوهم، الذي يجعلونه معارضا للمطلق لقد استمر الهنود احيانا في وصف المطلق بانه وحدة فارغة لايمكن ان يقال عنها شيء بالتحديد، في حين انهم في احيان اخرى يتخيلون انه يمكن اكتشاف المطلق في بقرة مقدسة او حتى في قطرات الماء وحبات الرمل أما العالم عند هيجل فليس ((المايا)) ولا وهما بل هو واقعي، على الرغم من ان أجزاءه المتعددة تعتمد على وحدة الكل الكل ليس وحدة فارغة لايمكن معرفتها فهو عقلي ويمكن معرفته في برابط عضوي فاذا بدات باي موضوع

جزئي، مثل البقرة او قطرة من الماء او حبات الرمل او ((زهرة تنيسون في جدار متصدع)) وتعقبن علاقاتها مع كل شيء اخر في العالم فانك تصل الى فهم للوحدة العضوية التي هي المطلق ان مذهب وحدة الوجود عند اسبينوزا يشبه مذهب وحدة الوجود عند هيجل اكثر مما يشبه مذاهب وحدة الوجود عند الهنود. ولقد كان اسبنوزا كما يرى هيجل، على حق الى حد معين، عندما تصور المطلق على انه جوهر، لان الجوهر واحد من مقولاته الكثيرة، لكن المطلق ابعد ما يكون عن الجوهر فمن الافضل ان نتحدث عنه بوصفه ذاتا اعنى بوصفه وحدة تتضمن وتكتشف عن كل مضامين التجربة المتنوعة في كل عيني وليس هناك شيء في المطلق لايكون عقليا وممكن التصور وممكن المعرفة بالنسبة للعقل المتأمل.

ويوضح لنا المخطط التالي فلسفة (هيجل) بصورة عامة:

والمفهوم الاكثر شمولا في مذهب هيجل هو الفكرة المطلقة والتي كثيرا ما يشار اليها باختصار على انها المطلق، او الفكرة(وعندما تستخدم كلمة فكرة بهذا المعنى، يجب ان تكتب بحرف كبير وتسبقها اداة التعريف ((ال)) وتتضمن الفكرة المطلقة، او بالاحرى هي، كل الواقع، او الكون. وقد يبدو مفزغا ان ياقل ان هيجل يسمى الكون باسرة باسم((الفكرة)) لاننا ربما نتصور الافكار على انها خلق ذاتي من صنع عقولنا الخاصة ولم يتصور هيجل، بالتاكيد الفكرة على هذا النحو فلا

شيء واقعي عنده مثل الفكرة وربما قارنا وجهة نظرة بتصور افلاطون للمثل فالمثل عند افلاطون هي حقائق واقعية قد تكشفها الاذهان البشرية، لكنها لا تخلقها، لكن تصور هيجل يختلف تماما في نواحي كثيرة عن تصور افلاطون افرض اننا نظرنا الى مبادئ الرياضيات على انها افكار: فهذه الافكار تكون صحيحة امام أي عقل بشري يصادف ان يكتشفها– ومع ذلك فكل المبادئ الرياضية يمكن معرفتها لانهلاشيء في طبيعة أي منها، سواء تم اكتشافه او لايزال مجهولا يكون مستحيلان على الفهم بصورة مطلقة امام العقلالمدرب تدريبا كافيا اما عند هيجل فتستطيع العقول البشرية ان تفهم العقل، والفكرة لان بنية العالم تنسجم مع اذهاننا التي هي اجزاء عضوية فيه، ولذلك فمن الافضل ان نسمى الواقع النهائي بالفكرة المطلقة وتلك الفكرة المطلقة هي الروح، او(نفس العالم)) التي تفكر وهي المقولات، والتي يشير اليها الدين على نحو مجازي بانها الله ولما كان هيجل يؤمن ايمانا راسخا بان العقل الشبري يستطيع ان يكشف طبيعة الواقع النهائي ومساره، فانه يستخدم الجدل بطريقة جديدة(الذي نظر اليه كانط على انه لايستطيع ان يزودنا الا بوهم ترنسندنتالي)، ويجد في الجدل المفتاح الى المعرفة المطلقة.

وتنتقل الفكرة المطلقة عن طريق جدل مثلثات كثيرة– كل منها له موضوعه ونقيضه ومربة في الموضوع ينكشف جانب معين من الواقع وفي النقيض يظهر جانب معارض ويرفع الاثنا بعد ذلك في مركب اعلى ويؤدي هذا المركب الى ظهر مثلث جديدة مرة اخرى ويؤدي هذا المثلث بدوره الى مثلث اخر فهناك مثلثات داخل مثلثات ولا تزال هناك مثلثات داخلها ويكون كل عضو من هذه المثلثات هو المطلق. والجدل الهيجلي مضوعي بصورة دقيقة فنحن لا نتخيله، لانه النظام الفعلي الذي يسير عليه فكر المطلق ويحاول هيجل ان يبرهن على ذلك عن طريق استباط منطقي لكل عضو في النسق من العضو الذي سبقه ويبدا الجدل بتصور اكثر تجريدا لمنطق خالص– أي الوجود الخالص وينتهي بالطور الاكثر عينية من الفكر، أي بفلسفة الروح المطلق في شمولها التام وعينيتها وسير الجدل منطقي خالص، ومع ذلك فان الاحداث في الزمان تطابقه الى حد ملحوظ كما يحاول هيجل ان يبين عن طريق امثلة توضيحية من التاريخ البشري في مجال السياسة والفلسفة، والفن ، والدين.

والقضية في اكثر المثلثات عمومية هي المنطق، ونقيضها هي الطبيعة والروح هي المركب. والفكرة المطلقة في ذاتها من حيث انها عقل خالص بغض النظر عن العالم هي مقولات المنطق، وتتقدم الفكرة من هذه المقولات لتصبح من اجل ذاتها(Fur sich) او كما نميل الى القول، خارجه من ذاتها الى عالم الطبيعة الخارجي، كما تتكشف في العلوم الطبيعية. ثم تعود الفكرة الى ذاتها في المركب الذي يشمل المنطق والطبيعة بوصفها الروح وهي تصبح في التجربة البشرية ذاتا تعي نشاطها الخاص.

محاضرة (١٠)

ب-<u>المنطق:</u>

المنطق عند هيجل هو الفكرة المطلقة في ذاتها، قبل ان تصبح طبيعة خارجية،(وفي تعبيرات من هذا النوع، يجب ان يتذكر المرء ان كلمة ((قبل)) تشير الى اسبقية منطقية فقط، ولا يعني هيجل انه في قديم الزمن لم توجد الفكرة المطلقة الا من حيث انها مقولات المنطق وانها تخارجت بعد في الطبيعة) ان كل مقولة من مقولات المنطق المتتابعة هي الفكرة المطلقة في احدى مراحلها ويشير النظام الذي يرتب فيه هيجل المقولات الى تقدم من التجريد الى العينية، وهو تصنيف منطقي خالص ولا يشير الى نتابع في الزمان لان كل المقولات ازلية. وكل مقولة من حيث انها مرتبة في السلسلة تتضمن جميع المقولات الدنيا، وانها كلها يمكن ان تستنبط منها منطقيا وكل مقولة تضم بداخلها صراحة كل المقولات التي تسبقها وتنطبق كل مقولة من مقولات المنطق على كل شيء في العالم.

وتلك المقولات ليست فيما يرى هيجل من اختراع البشر، ليست مستمدة من الاتفاق البشري كما يؤكد ((وليم جيمس)) وبرجماتيون اخرون فيما بعد وهي ليست بناءات فطرية للفهم البشري لا تصدق على العالم من حيث انه شيء في ذاته كما افترض كانط ويعتقد هيجل ان المقولات حقائق واقعية موضوعية اصلية اكتشفها هو واستطاع ان يحدد علاقة الواحدة بالاخرى، لانها اوجه Modes لكل فكر بشري عقلي والهي وهي قبلية بالنسبة للتجربة البشرية لانها تلازم بينة الكون. والى هذا الحد يكون هيجل فيلسوفا واقعيا.

ويتكون مثلث المنطق الاكثر شمولا من مقولة الوجود(Sein)، والماهية(Wesen)، والفكرة الشاملة (Befriff) في نظرية الوجود تتجلى الحقيقة الواقعية بصورة اكثر تجريدا وفي نقيض الموضوع، أي في مقولات الماهي تنكشف الطبيعة الداخلية للتفكير من حيث انها نتاج للانعكاس، والمركب الشاملة(كما تترجم كلمة Bergiff بصورة متعددة ويتفق في الفكرة الشاملة التعارض بين الوجود والماهية ويتم التغلب على التعارض في مركب اعلى.

الوجود

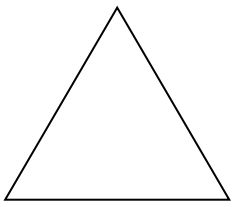

الماهية الفكرة

محاضرة (١١)

٤.فلسفة الطبيعة

في مقابل المنطق، الذي يكون فيه المطلق فكرا خالصا، تقف الطبيعة التي يتخارج فيها الروح المطلق من حيث انه العالم الخارجي وهدف هيجل في فلسفة الطبيعة هو ان يعرض للمفاهيم الكلية التي تكون أساسا للطبيعة وتختلف التصورات عن مقومات المنطق من حيث أنها ليست كلها موجودة بالضرورة في كل شيء فهناك كليات في الكائنات الحية، مثلا لا تظهر في المادة اللاعضوية وهيجل ليس من أنصار مذهب شمول النفس.

وتصورات الطبيعة الأدنى والأكثر تجريدا هي مثلث المكان، والزمان، والحركة، التي تؤدي الى مبادئ الإلية الأخرى. وتلك المبادئ موجودة بالتأكيد في كل طبيعة وفي مقابل الإلية هناك تصورات الفيزياء، ويكون علم الكائنات الحية أعلى من هذه التصورات من حيث انه مركب في حالة الكائنات الحية فالكائن الحي يكون في تركيبة آليا وفيزيائيا غير انه شيء أكثر من ذلك ويظهر الوعي بدرجة ادنة في الحيوانات ويمتلك الإنسان وعيا ذاتيا لأنه يستطيع أن يستدل، فهو يمتلك عقلا او روحا، بالمعنى الهيجلي. ولذلك يعود الروح المطلق، الذي يكون في عالم خارج ذاته في الطبيعة، الى نفسه في أفراد متناهين يشاركون في فكرة العقلي الخاص. ويؤدي ذاك بهيجل الى الجزء الثالث من مذهبه، وأعنى فلسفة الروح.

وليس من الضروري مناقشة فلسفة الطبيعة عند هيجل بالتفصيل. لذ يسلم معجبوه بان هذه الفلسفة هي اضعف جزء من فلسفته. ان تدريبه واهتمامه يكمنان في مجالات مثل المنطق، والميتافيزيقا، والأدب واللاهوت، والفن والتاريخ البشري. وقد كانت لدية معرفة عملية ضئيلة أو استعداد طبيعي قليل ان الإنسان لايستطيع ان يتفوق في كل شيء ومع ذلك فثمة ملاحظتنا قد نسوقها قبل ان نترك ذلك الجزء من فلسفته.

لقد استبق هيجل مذهب التطور الى حد انه عزا الى الطبيعة عملية منطقية من الصور الأدنى الى الصور الأعلى؛ لان المادة اللاعضوية، والنباتات، والحيوانات، والإنسان تتبع العيينة المتزايدة، والزمان والمكان. ويبدو، بالتأكيد ان هذا التتابع المنطقي يفترض تطورا مناظرا في الزمان، خاصة كما حاول هيجل ان يجد توازنا بين الخطوات المتتابعة في فلسفته الخاصة بالروح، وأحداث في التاريخ البشري
ومع ذلك برفض هيجل بصورة جازمة التصور((السديمي)) لأصل تنظيمات حيوانية أكثر تطورا من الأدنى. لقد عاش قبل ان يظهر استحسان تفسير(دارون) و(لأمارك) للتطور العضوي وبالتالي ،بينما تترك (الهربرتسبنز) ان يصبح أول فيلسوف حديث يعرف دلالة التطور البيولوجي، فقد ساعد مذهب هيجل الذي يرى ان ثمة نظاما منطقيا في الطبيعة في أعداد

العقل الاوبي لفلسفات التطور في النصف الأخير من القرن التاسع عشر ولم يكن هيجل، شان الفلاسفة المثاليين المطلقين الذين تاثروا به في العصور المتاخرة معاديا للعلوم الطبيعة، ولم يرفض التفسير الالى للطبيعة من حي انه تفسير صحيح داخل مجال البحث العلمي حيث وجد انه تفسير مقنع ومعذ لك فالاليهتصورمجرد في الطبيعة بقدر ما هو مجرد في المنطق اما الغائية فهي تصور اكثر عينية فلكل كائن حي مثلا بنيته الالية، وهو يخضع لقوانين والفيزياء والكيمياء. ومع ذك لا تفى الاوصاف عن طريق تلك القوانين بالغرض لان علاقات الاعضاء المتعددة بعضها ببعض داخل أي كائن حي، تؤلف كلا واحدا يكون اكثر من الفتاعلالالى المحض لاجزائة على الاقل عندما نقوم بدراستها دراسة فلسفية. فحياته تحقق غرضه الداخلي الخاص ان الطبيعة باسرها تحكمها قوانين الية، غير انها تملك معنى اعمق مما يستطيع ان يكشفه السرد المحض لتلك القوانين ولك ما يقصده الفلاسفة من اصحاب المثالية المطلقة عندما يصرون على ان للعالم دلالة روحية.

محاضرة (١٢)

٥.فلسفة الروح

يعالج القسم الثالث من فلسفة هيجل، واعنى به فلسفة الروح، تجارب البشرية الحضارية يعالج موضوع المثلث الرئيسي أي ((الروح الذاتي)) السيكولوجيا ، أي عمليات الافراد العقلية منظرا اليها بذاتها بصورة مجردة، بمعزل عن المجتمع.؟ ونقيض هذا الموضوع ،هو ((الروح الموضوعي)) الذي نجد فيه عقل الانسان(روح الانسان) يبلغ الحرية والعينية، والموضوعية في العلاقات الاجتماعية. ويصبح الانسان اخيرا في مركب المثلث أي في (الروح المطلق) –واعيا بذاته بصورة عينية وواعيا ايضا بالعالم المادي والاجتماعي الذي يعيش فيه، ويصبح من خلال الفن، والدين، والفلسفة، ممتنا باصلة الالهي ومصيره، من حيث انهما تجل للفكرة المطلقة. وبينما يكون النظام الذي تظهر فيه التصورات المختلفة في الجدل منطقيا خالصا– تزداد عينية بالتدريج– فان هيجل يعتقد ان تتابع الاحداث البشرية تتبع هذا النظام الى حد ما .

وينظر البعض الى معالجة هيجل(للروح الموضوعي) على انها افضل جزء في فلسفته ويتكون المثلث الرئيسي هنا من الحق(Recht)، بمعنى الحق المطلق(الذي ينظر فيه الى الافراد في علاقاتهم الخارجي بعضهم ببعض، وحقوق بعضهم تجاه البعض الاخر)، ومن الاخرق الشخصية(Moralitat) (التي فيها يحول افلاراد افكارهم الى الداخل ويفحصون ضمائرهم)ومن الاخلاق الاجتماعية(Sittlichkeit) (التي تتموضع لها الحقوق الذاتية والضمير الداخلي في مؤسسات اجتماعية مثل الاسرة والدولة).

ويعرف هيجل المبدا العام للحق المرد بانه(كن شخصا واحترم الاخرين بوصفهم اشخاصا) ويشبه هذا الراي القاعدة الثانية من قواعد الامر المطلق عند كانط ولما كان الانسان شخصا، وواعيا بذاته وحرا ومزدا بقدرات اخلاقية، ويختلف بذلك عن الحيوان، فانه يكون حاملا لحقوق ويكون لدية التزامات مناظرة نحو نفسه ونحو اقرانه.

ويتطور الحق في مثلث المليكة والعقد، والخطأ(الضرر، والقانون النائي..الخ) فالانسان بوصفه شخصا له الحق في الملكية. وذلك يمكنه من التعبير عن شخصيته، عن طريق اعطائه الوسيلة المادية التي يستطيع بواسطتها ان يحصل على الامن لنفسه ولاسرته وان يخطط للمستقبل، ويصبح بالتالي حرا بطريقة جوهرية. ويتضمن الحق معرفة حقوق الاشخاص الاخرين في نلكيتهم الخاصة. ومعالجة هيجل العامة للملكية معالجة فردية بمعنى ان الانسان يبلغ الشخصية عن طريق اكتساب الملكية وادارتها بطريقة محمودة اخلاقيا. ولا تفترض اراء هيجل، في القوت نفسه، اغفالا للمظالم الاجتماعية التي تجعل من المستحيل الان على معظم الاشخاص ان يمتلكوا ملكية خاصية عن طريق مجهوداتهم الخاصة ولايكون العلاج بناء على الافكار الهيجيلة فيما يبدو، في الاشتراكية المتطرقة او الشيوعية اللتين تلفيان الملكية الخاصة، وانما يكون بالاحرى في نظام اجتماعي تصبح فيه الملكية الخاصة اكثر عمومية ويتم حمايتها بصورة افضل.

ولا ينظر هيجل الى العقاب على ان ما يبرره اساس هو انه ردع لجرائم المستقبل، ولا جزاء يستهدف اصلاح المخطئ؛ لان التاكيد على أي هدف من هذين الهدفين معناه الاخفاق في احترام شخصية المجرم الخاصة، ومعاملته كما لو كان حيوانا او موجودا في منزاه دنيا.ان العقاب يجب ان يكون تعبيرا عن ارادة اجتماعية او عامة تتجسد في الدولة، وليس تعبيرا عن اطراف تشعر بانها مهضومة الحق. ويفسر هيجل، باستمرار، على انه يعني ان العقوبات تعلم المجتمع المخطئ نفسه اذا كان ذلك ممكنا، ان يتحقق من ان أي جريمة، من حيث انها مسالة من مسائل العدالة، ترده عن الخطا، عندما يعانى من نتائج سلوكه. لقد استحسن هيجل الحركات التي كانت موجودة في عصره لانسانيتها العظيمة في معاملة المخطئين، وقصر عقوبة الاعدام على جرائم كبرى قليلة.

وينقلنا النظر في الفهلالخطا، وبصفة خاصة الجريمة، من الحق المجرد، الذي يهتم باشياء خارجية مثل الملكية الى مسؤولية اخلاقية والى العمليات الذهنة الداخلية للفاعل اعنى الانتقال الى دراسة الاخلاق الفرديةMoraality التي تتميز عن الحق المجرد او القانون والتي تكون نقيض الموضوع بالنسبة له والى الغرض الذاتي، القصد(النة) intention، والى موقف الضمير عند شخص ما،الذي يميز بين الخير الشر والشخص مسؤول اخلاقيا عن اغراضه(او نواياه)، التي تتضمن كل النتائج التي ينبغي ان كون قادرا على ان يتوقعها قبل ان يسلك سلوكا معينا، ولا يكون مسؤلا الا عن تلك الاغراض فقط. ويكون القصد(النية) من النتائج المتوقعة والمرادة، تك التي يكون جزءا جوهريا من الفعل وقد يتضمن القصد سعادة Well-being الفاعل وسعادة الاخرين ويعتقد هيجل انه من الصواب بالنسبة للانسان ان يحتوي قصده على خيرات اخرى بجانب الاداء المحض للواجب شريطة ان لا تتضمن شيئا يخالف الواجب. والرجل العظيم الذي

يؤدي خدمات هامة للعالم، ينبغي الا يلام لان قصده يتضمن عرضا السلطة، او المجد او الشهرة لنفسه. ولم يكن هيجل قاسيا بالنسبة لانسان يسرق رغيفا من الخبز عندما يكون الامر ضروريا لان يفعل ذلك لكي يطيل حياته

ويظهر مركب الحق المطلق والاخلاق الذاتية ف اخلاق موضوعية، او اجتماعية والمثلث الرئيس داخل الاخلاق الاجتماعية هو الاسرة، والمجتمع المدنى، والدولة. ويرى هيجل في الاسرة المؤسسة الاجتماعية الاصلية والاساسية التي تتحقق فيها الحرية. ولا يفهم الزواج فهما كافيا اذا نظرنا اليه على انه مجرد علاقة جنسية، او عقد مدني، او اتحاد ينتج من حب رومانسي. وهو يشمل كل ذلك، بالتاكيد ،غير انه فوق كل ذلك ،ويجب ان يكون، اتحادا((اخلاقيا)) يوافق فيه فردان بحرية على ان يصبحا شخصا واحدا؛ يتخلى كل واحد منهما عن المصالح الانانية لكي يدخل في حياة اكبر من حب متبادل، ومساعدة، وارادة مشتركة ، واغراض مشتركة، انه مؤسسة اجتماعية، ذات اهتمام عام بالمجتمع ولذلك، لابد ان تحدد ظهوره مراسم مدنية، ولا يسمح بالطلاق الذي يكون نتيجة نزوة عارضة من احد الشريكين او من كليهما ،بل يسمح به فقط نتيجة لاسباب خطير الشان يحددها القانون. ويجب على الزوج باعتباره رب الاسرة ان يكسب المعاش، ويوفر لافراد الاسرة حاجاتهم، ويعتبر ملكيته ملكيتهم المشتركة. ويدرك الزوج والزوجة في اطفالهما التحقق الموضوعي لحبهما، الذي كان من قبل شعورا ذاتيا تجاه كل منهما للاخر. انه ينبغي عليهما ان يربيا اطفالهما بحذر وفهم ويمارسا الحزم عندما يكون الاطفال صغارا في السن، ويحترما حقوقهم الكاملة من حيث انهم اشخاص مستقلون عندما يصلون الى سن النضج التام ويكونون على استعداد لان يعولوا انفسهم، ويكونوا اسرا خاصة بهم ويصر هيجل على اهمية الاسرة من حيث انها مؤسسة اخلاقية في مقابل شطحات الرومانسيين الذين كانوا يتعاطفون مع الارتباطات العارضة ومع الحب الحر غير المسؤول.

ولكى يحافظ هيجل على تناسق الجدل، كان عليه ان يجد نقيض الموضوع للاسرة الذي ستطيع ان يتالف معها في وحدة عليها هي الدولة. وهذا ما يطلق عليه اسم((المجتمع المدني)) (BurgerlichGesellschaft). اما الموضوع داخل المجتمع المدني فهو نسق الحاجاتsystem of wants، ذلك النسق يتضمن ما نسمية بالنظام الاقتصادي ويضم الطبقات الزراعية، والصناعية، والتجارية، والحاكمة. وينتمى الفرد الى الطبقة التي يطمح اليها شريطة ان يكون مناسبا لها؛ ولا يتحدد ذلك سلفا بطريقة تعسفية عن طريق الميلاد(كما في نظام الطبقات المغلقة ف الهند)، ولا يامر به الحكام(كما هي الحال في جمهورية افلاطون). اما نقيض الموضوع فقهو ادارة العدالة بين الافراد والطبقات عن طريق قوانين تفسرها المحاكم لغة مفهومة للمواطنين. اما المركب فهو يشمل رجال الشرطة الذين ينفذون اوامر المحاكم، والنقباتالادرادية التي يكون لافراد الحرية في تنظيمها لكي تدعم مصالحهم بطريقة تنسجم مع الرخاء العام.

محاضرة(١٣)

وكان هيجل يحترم الدولة احتراما كبيرا من حيث انها الفكرة الشاملة عن المثل الاعلى، ولان الاخلاق تعالك المثل العليا، بمعنى ما ينبغي ان يكون وليس ما هو كائن، ولا ينبغي ان نلومه على ثنائه على الدولة بصورة لا تستحقها أي دولة قائمة بالفعل. فلقد عرف هيجل ان للدول القائمة بالفعل عيوبا كثيرة، ومع ذلك كان متفائلا حتى انه كان يعتقد انه حتى لو كان الامر كذلك، فانها شوهت مثلا اعلى ليسغائبا تمام، مثلما يكون الانسان الدميم، والمجرم، والاعرج، العاجز، بالرغم من ذلك اناسا احياء ولا يصبح الفرد حرا تماماً، ويمتلك حقوقا يمكن تحديدها على اساس عقلى المحافظة عليها، الا من حيث انه مواطن في الدولة. والدولة اكثر اهمية من الفرد. ومع ذلك لايمكن الادعاء بان هيجل نقل نظريته العضوية في الدولة الى متطرفي المذهب الشمولي المعاصر. ويعلن هيجل ان الدولة الاكثر تطورا، هي التي يكون دستورها ملكيا، ويكون رئيسها فردا واحدا ينظم كل وظائفها. ومع ذلك لايكون الملك مستبدا، لانه يتصرف بناء على نصيحة وزارئه ولا ينبغي عليه سوى ان يقول ((نعم)) وبذلك يضع النقط على الحروف ويبدو ان هيجل كان في ذهنه صورة ملك له وظائ تشبه الى حد ما وظائف الملك الانجليزي الراس البارز الذي تنفذ باسمه اعمال الحكومة.

ويلى الملك السلطة التنفيذية او موظفوا الدولة والسلطة التشريعية، ولا يومن هيجل بالنظرية الامريكية في الفصل الكامل بين السلطلتين التنفيذية والتشريعية، ولكنه يفضل الممارسة البريطانية التي يكون بواسطتها للوزراء مقاعد في البرلمان. ولا يحبذ حق التصويت العام، صحيح ان الحكومة تنفذ الارادة العاقلة للامة، لكن ذلك لا يمكن ان يتحقق عن طريق انتخاب شعبي تدلى فيه الجماهير الجاهلة باصواتها. بل ينبغي ان تقود السلطة التنفيبذية الراي العام وتوجهة بدلا من ان تخضع فتكون اداة سلبية لانفعالات شعبية طاغية في لحظة ما وعلى الرغم من ان هيجل لم يكن يريد بذلك معارضة التقدم فاننا نستطيع ان نرى لماذا كانت اراؤه بوجه عام مقبولة بالنسبة للبيروقراطية الرجعية التي كانت مسيطرة على بروسيا بعد مؤتمر فينا، وكان يخشى انه يريد ان يكون تماما تحت رضا الحكومة وهناك الكثير من اراء هيجل عن الدولة له قيمته، ويدين الهام بعض من اعظم المفكرين البريطانيين في الفلسفة السياسية لهيجل، كما توضح ذلك كتابات(تومسان هل جرين)T.H Green، و(برنادربوزانكيت "B.Bosanquet. غير ان هيجل اصابتهم بالاحباط في معالجتة للقانون الدولي. فلم يكن لدية امل فيامكانتاسيس سلطة دولية، او ضمان سلام عالمي.

كل دولة– في تفسير هيجل للتاريخ الكلى– تعبير عن فكرة تتجلى اثناء التطور في شعب يسيطر ثم يفقد مكانته المرموقة بعد ان يؤدي رسالته. وتتجلى الفكرة المطلقة في هذه السيطرة المتعاقبة للدولة. ان(تاريخ العالم هو محكمة العالم)) ويشير هيجل في كتابه((فلسفة التاريخ)) الى ما يعتقد انه مساهمة لكل شعب مهم في التاريخ.وهذا الكتاب مثير بسبب الكم الهائل من المعلومات المفيدة والمعلومات المضللة التي جمعها هيجل معا،وبينما يكون فكرة موحيا، بدرجة كبيرة، فان الكتاب يميل بوجه عام الى ان يجعل المؤرخين يشكون في كفاءة الفيلسوف في تفسر التاريخ تفسيرا صحيحا ومع ذلك كثيرا ما

ينصح المبتدئون في دراسة فلسفة هيجل بقراءة هذا الكتاب، لانه قراءة ممتعة، ويعرض المنهج الجدلي بوضوح، وهو ملئ بالامثلة والشواهد.

لقد قمنا حتى الان باعادة عرض لتفسير هيجل لتقدم الفكرة المطلقة: اولا في ذاتها من حيث انها تتجلى في مقولات المنطق، وثانيا من حيث انها تتخارج عن ذاتها في الطبيعة الفيزيائية، وثالثا من حيث انها تصبح واعية بذاتها في بذاتها في عمليات الروح الذاتي السيكولوجية، وتتكشف من حيث انها روح موضوعية في مؤسسات اجتماعية وتبلغ ذروتها في الروح المطلق، الذي نعى فيه الواقع باسره في وحدته العضوية وكماله ويتم ذلك في الفن عن طريق وشيط من صورة محسومة من نوع ما، وفي الدين نخبر وحدة البشرى مع الالهي في العبادة، امام في الفلسفة، فينكشف المطلق في تصورات التفكير الخالص. وثمة علاقة وثيقة للغاية بين تلك الانجازات الثلاثة العليا للروح، التي يكتمل بها المذهب.

وتشع الحقيقة الواقعية(أي المطلق) في الفن بوصفها جمالاBeauty عن طريق وسيط محسوس، قد نتمثلة مباشرة كما هي الحال في تمثال ،بناء او الحان الموسيقى، او في خيال محسوس كما هي الحال في الشعر. ولايمكن ان نتعرف على الجمال في طور ادنى من اطوار الطبيعة غير الحية(الجامد) مثل كتلة من الحديد، وبصورة اقل في نسق الى مثل الشمس والكواكب ويصبح الجمال اكثر وضوحا في النباتات، التي تكون فيها وحدة الاجزاء والكل غائبة، ويصبح اكثر وضوحا في الحيوانات،ولا يزال اكثر وضوحا في الموجودات البشرية ومع ذلك، فالانسان يخلق صورا من الجمال اكثر كفاية مما يجده قائما في العالم حوله. ان الفن اسمى من الطبيعة(وقد نعترض على هذا التاكيد، غير ان رؤية هيجل الفسلفية باسرها تؤدي الى تاكيدها).

ولما كان هدف الفن هو الكشف عن الدلالة الداخلية للواقع في صور محسوسة، فانه يكون باستمرار تفسيرا اعلى وليس تقليدا أعمى للطبيعة(في معارضة افطرن في محاورة "الجمهورية"). ان الفن ينقى الانفعالات، وله أخلاقية(ويتفق هيجل هنا مع أرسطو). ويجب الا يكون هدف الفنان تعليميا او تهذيبا أساسا، وان لا يهدف الى شهرة شخصية ومكافات مالية. بل ينبغي ان يسعى الى نقل فهم الحقيقة عن طريق صور محسوسة تكون لها فائدتها وقيمتها في تقدير جمالي ذاته.ويوضح ذلك القيمة الفريدة للفن وتصوره النهائي اذا ما قورن بالدين والفلسفة.

لكل عمل من الفن جانبان مضمونة الروحي وتجسده المادي او الصورة يسود ويكون هناك توازن تام التجسيد المادي والمضمون الروحي في الفن الكلاسيكي لايستطيع العقل البشري ان يعبر تماما في الفن الرمزي عن المضمون الروحي الذي يحاول ان ينقله بواسطة التجسيد المادي،ولايمكنه سوى ان يفترض معناه عن طريق رمز ما وتوجد الامثلة الفجة في ابداعات الفن الهندي الذي يقدم مخلوقات هائلة ومشوهة تسعى، على سبيل المثال، الى ان توحى بعظمة الالهة، عن طريق جعل رؤسها، وايديها وارجلها كثيرة. والفن المصري اكثر تاثيرا في رمزيته فالمسلات تمثل اشعة

الشمس، بينما يلفت ابو الهول الانتباه بطريقة مؤثرة الى لغز الكون. ويصل الفن الرمزي الى اضمحلاله في الحكاية الخرافية، والشطحات، والحكايات القصيرة، وقصيدة الشعر الوصفية والتعليمية، التي لاتعبر أي منها تعبيرا صادقا عن المضمون الروحي، بل تشير افقط عن طريق الرموز.

وثمة توزان وانسجام بين الضمون والصورة في الفن الكلاسيكي، الذي كان يعجب به هيجل اعجابا كبيرا فهنا ينظر الى الفن في احسن حالاته على انه فن. ان المضمون يكون عينيا، وتكون الصورة كافية للتعبير عنه. فالهة اليونان موجودات الشخصية وفردية مثلنا وكانت لدى النحات القدرة على ان يصورها في جو من السعادة الهادئة والخالدة التي تتجسد في صورة مثالية تعبر عما كان مقصودا تعبيرا كاملا ولم يكن الفن اليوناني بالتاكيد، فنا كلاسيكسا تماما؛ لان اليونان استخدموا الرمزية احيانا وكثيرا ما كانوا رومانسيين في شعرهم، وبصفة خاصة في المسرحية. غير ان اليونان كانوا اكثر شهرة بانجازاتهم في الفن الكلاكسيكي، الذي طوروه الى اعلى كمال، بصفة خاصة في النحت والاثار.

ويهيمن المضمون الروحي في الفن الرومانسي، ولا تكفى صورة محسوسة للتعبير عنه تماما. ومن امثلة هذا الفن الفروسية، بخصائصها الاساسية المتعلقة بالمجد، والحب والولاء، والحب الرومانسي، واعترافه بالقيمة اللامنتاهيةلاشخاص اخرين. ولا توجد هذه الموضوعات في الشعر الكلاسيكي الخالص، مثل شعر "هوميروس" ويسعى الفن الرومانسي الى الكشف عن الروح، ليس في الجلال الكلاسيكي الهادئ والسكون فحسب، وليس في مغامرات الابطال، بل في صراعاته الداخلية، والامة، وانتصارته القصوى. والام المسي، ووفاته، وقيامته، وانتصارات الايمان على المعاناة التي حققها القديسون والشهداء هي من بين الموضوعات المفضلة للتصوير الرومانسي، والموسيقى والشعر، وموضوعات العمارة القوطية ايضا(التي ينظر اليها هيجل على انها فن رومانسي) وطالما انه لايمكن لصورة محسوسة ان تنقل بصورة كافية حقائق روحية عميقة فان الجدل ينتقل من الفن الى نقيضه في الدين. ولقد اهتم هيجل بالفنون الجميلة اهتماما كبيرا وكرس جهدا كبيرا لتقديم تفسير محكم لمغزاها الداخلي. وظل واحدا من المفكرين البارزين في تاريخ الاستاطيقا، ويعترف كثيرون ممن يميلون الى رفض فلسفته في الفن باسرها ،بافكار ثاقبة وذات قيمة.

ويحتل الدين مكانة وسطا بين الفن والفلسفة، فلم تعد الفكرة المطلقة متجلية في صورة موضوع من موضوعات الحس، وان كانت لاتزال لاتفهم مع ذلك في صورة عقلية خالصة. لان مضمون الدين هو التمثيل(Vorste;;ung) ،الذي يكسى فيه الفكر الخالص بتصرير من نوع ما والفكرة الشائعة عن خلق الله للعالم هي ذلك الامثل والحقيقة الفلسفية في ذلك التمثل هي التحول من المنطق، اعنى الفكرة في ذاتها الى الطبيعة، اعنى الفكرة في تخارجها ولم يرفض هيجل تمثل الدين من حيث انه مجرد اوهام شعبية. فهو يرى فيها تجليات فعلية للمطلق الذي يعبر عن الحقيقة بصورة كافية مثلما يستطيع العقل العادي ان يفهمها.

محاضرة (١٤)

ويجد هيجل في المسيحية التي يطلق عليها اسم الديانه المطلقة، التمثل الاكثر كفاية للحقيقة المكنة لدين ما. ويكون الله الاب هو المنطق؛ أي المقولات قبل ان تتخارج في العالم؛ ويكون اله الابن هو عالم الطبيعة؛ اما الروح القدس فيكون الواقع الذي يصبح واعيا بذاته في الروح، ويكون متمثلا في الكنيسة وتظهر عقيدة التثليث في صورة تمثل للحقيقة التي تذهب الى ان المطلق يكون ثلاثة في واحد؛ لان المقولات المنطقية، والطبيعة والروح تكون كلها معا المطلق الواحد في جانبه الثلاثى. ويشعر الانسان عندنما ينعزل عن المطلق بمواطن ضعفه ويصبح واعيا بالخطية؛ ويجد عن طريق تجسد المسيح ان المطلق من حيث انه الطبيعة(أي الابن) اصبح انسانا، ويبلغ الوعى بالاتحاد بالله عن طريق العبادة ان القيمة العظيمة للدين السميحي هي تمثلاتها التي تناظر الحقائق الازلية للفلسفة(فلسفة هيجل) ولا ينبغي ان نشغل انفسنا بالصحة التاريخيى للمعجزات او باحداث اخرى يفترض انها حدثت منذ عشر قرنا، فهمها كان ما قررة المؤرخون بشان هذه الحقائق الازلية في نهاية الامر، فانها سوف تظل باتقية ويحاول هيجل ان يبين ان المسيحية تمثل شعبي للحقائق النهائية في فلسفته الخاصة، ومن الطبيعي ان يلجا اليها القساوسة واخرون ممن يرغبون في ان يصبحوا هيجليين وان يظلوا مع ذلك مسيحيين وقام هيجل بدراسة الاديان التاريخية الاخرى المتعددة بتعاطف، واعترف لكل منها بافضل من حيث انها تفسر طورا تقدم الجدل بصورة كبيرة او صغيرة ودرس ادب الدين المقارن الذي كان متاحا انذاك، وربما كان دقيقا في اتشاراته الى الديانات المختلفة بقدر ما كان متسطاعا عندئذ واهتم هيجل بالدين اهتمام كبيرا، ووضعه في مرتبهاعلى في مذهبه من أي صورة اخرى من صور المعرفة باستثناء الفسلفة ذاتها. لقد اعتقد انه يحتل مكانة جوهرية في الحياة البشرية، وكان مقتنعا بان الانسان يتحد عن طريقة بالالهى.

والمركب النهائي في مذهب هيجل هو الفلسفة، وعن طريقها يكتشف الانسان المطلق في كل مراحل الجدل. وعندما يفعل الانسان ذلك، يصبح عاقلا وواعيا بذاته ويقدر مكانته في كون عضوي وعقلي. ويصبح الكون بدوره واعيا بذاته في حياة الانسان الثقافية ويظل مذهب هيجل الفلسفة الاكثر شمولا التي تم انجازها في العصور الحديثة.

المفاهيم الاساسية التي استخدمها هيجل في فلسفته:

*المطلق:هو يرادف الروح والقعل الخالص– وهو يفضى نفسه في ذاتية للمطلق (التعريف الاول:المطلق هو الوجود وهو يمثل مذهب الايلين) تاريخ العالم– والمقولات التي تمثل المذاهب الفلسفية ليست الا تعريفات وهو ايضا مجموع الخبرة البشرية.

*في ذاته او ذاته:ضمنا- وكل شيء يكون في (ذاته) في بداية تطوره ثم يظهر الى العلن الصريح- وهذا المصطلح قريب من فكرة ما هو بالقوة عند ارسطو.

الحدس او العيان المباشر:طريقةياخذ بها الصوفيون واشباه المثالين في المعرفة –وهو يطلق كذلك عل اليقين الحسي بوصفة حدسا مباشرا لموضعات المعرفة الحسية.

*الفكرة الشاملة:(وتترجم احيانا بالفكرة فقط، واحيانا بالتصور وهيجل يستخدمها في مؤلفات الشباب ليعنى بها الفكر المجرد، اما في مذهبة النهائي فالفكرة الشاملة هي الفكرة العينية(أي التي تشمل في جوفها مقولات اخرى) ومن هنا كانت مقولة الصيرورة هي اول فكرة شاملة٠ والفكرة الشاملة للشيء بصفة عامة هي طبيعته العقلية الحقيقية.

*الكيمائية:(مقولة) وجهة النظر التي تعبر عن الطبقة الداخلية للموضوعات وميل كل منها الى الاخرى في مقابل الالية.

الموجود المتعين:(الوجود هنا او هناك وهو يتضمن السلب فهو وجود كذا وليس وجود شيء اخر.

*التفكير:وقد يكون مجردا كتفكير الفهم او عينيا كتفكير العقل- وهو يرتبط باللغة فهي مستودع التفكير وهو يشير الى الارتباط اللغوي بين الشيء والفكر فجوهر الاشياء هو الفكر.

*تحديدات الفكر او المقولات:والمقولات عند هيجل كليات عقلية خالصة تحمل على جميع الموجودات، وهي موضوعية كما انها تعبر عن الماهية.

*الشيء في ذاته:ومصدره التركيز على جانب واحد من جوانب تكوين الشيء اعنى عامل الانعكاس في الذات ومن هذا التركيز ظهرت هذه الفكرة الاساسية في فلسفة كانت.

*ما هو لذاته:مصطلح شائع عند هيجل وهو يرادف المعنى او الصريح او ما هو بالفعل عند ارسطو.

*الروح- العقل:(والكلمة في الالمانية تتضمن المعنيين معا) ومذهب هيجل كله يدرس الروح كما في ذاتها(المنطق) ثم في خروجها الى الاخر(فلسفة الطبيعة) ثم في عودتها الى ذاتها(فلسفة الروح).

*الفكرة:الفكرة الشاملة مع مضمونها او مدركة بطريقة عينية هي الفكرة.

عيني:ضد المجر، والعيني عند هيجل هو الشامل لعناصر الموضوع.

*المنطق:القسم الاول من مذهب هيجل، وهو يدرس العقل الخالص او ملكوت الفكر الخالص، ومضمون المنطق يعرض لنا الله في ماهيته الازلية قبل ان يخلق الطبيعة والروح المتناهي– والمنطق عند هيجل هو نفسه الميتافيزيقا(موسوعة فقرة ٢٤).

*الالية:وجهة النظر التي تنظر الى الاشياء على انها لايؤثر بعضها في بعض ولا يتاثر بعضها ببعض، وانما يتجمع بعضها جانب بعض بطريقة خارجة فحسب(في مقابل الكيمائية–انظر هذه القولة فيما سبق)

*الطبيعة:القسم الثاني من مذهب هيجل، والروح في الطبيعة تضيع نفسها في خارج تخارج، وتسلخ نفسها من وجودها المناسب، كما يقول في الموسوعة فقرة ١٨.

النبات:القسم الثاني من الكائنات العضوية في فلسفة الطبيعة.

*الواجب: والواجب هو جوهر الضمير الاخلاقي(انظر فيما سبق الضمير–الاخلاق الفردية).

*الكيف: يتحد الكيف مع وجود الشيء في هوية واحد بحيث اذا تغير تتغير وجوده معه.

*الكم:خاصية للوجود، بمعنى ان تغير الكم– في حدود معينة– لايفقد الشيء وجودة اما اذا زاد التغير الكمي فانه يؤدي الى تغير في الكيف اعنى في وجود الشيء(قارن القانون الاول في الجدل الماركسي)

*الوعي الذاتي:الوعي بالذات(انظر الوعي فيما سبق)

*التحديد الذاتي:او التعين الذاتي هي الحرية الحقيقية عند هيجل فالشيء يحدد نفسه بنفسه ولا يحددة شيء اخر، ومن هنا كان تقدم الوعي وتحديده لنفسه هو تقدم للحرية.

الحياة الاخلاقية:او الاخلاق الاجتماعية(القسم الثنائي من فلسفة الحق) وهو يتالف من ثلاثة مراحل هي الاسرة– المجتمع المدني– الدولة.

*جوهو :مقولة– وهويرتبط ارتباطا ضروريا باغراضه، فالجوهر يظهر في العرض.

المنهج التركيبي او التاليفي:وهو المنهج الرياضي وهو منهج متناه ولهذا لايصح لدراسة الفسلفة(راجع المنهج المطلق)

مباشر:من اكثر المصطلحات شيوعا في المذهب وهو يرتبط بالتوسط ومصطلح المباشر في ان معا الى الحضور والخلو الظاهري من العلاقات وهي السمة التي يبدو انها تاتطبعبطابعهات جميع الموضوعات في البداية.

*القعل:العقل هو المبدا الذي يسلم بالتمييز والاختلاف ولكنه يرى في الوقت نفسه الهوية الكامنة وراء هذا الاختلاف ولهذا فانه ياخذبمبدا هوية الاضداد– والعقل هو الصورة العليا لنشاط الروح ولحركة الوعي.

*الفهم: قوانين الفهم هي قوانين المنطق الصوري الهوية المجردة وقانون التناقض والثالث المرفوع– ويسعى الفهم وراء الدقة والتحديد والتجريد ووضع الفواصل بين الاشياء– وطريقة الفهم فيالتفكير هو التجريد وهو منهج الميتافيزيقيا القديمة

*الحقيقة:وهي ترابط النسق كله– ويرى (ولاس) ان كلمة الحقيقة عن هيجل ترادف من ناحية (العيني) ومن ناحي اخرى (الفكرة الشاملة).

*الصيرورة:(مقولة) المركب من الوجود والعدم وهي اول فكرة عينية وثالث تعريف للمطلق كما يعبر عنه في الفلسفة مذهب هيراقليطس.

*الماهية:الماهية هي حقيقة الوجود او هي الجانب الحقيقي الداخلي لكنها حد نسبي بمعنى انها تعتمد في وجودها على الظاهر لانه يعبر عن الماهية(لاحظ اهمية هذه الفكرة في الفلسفة الماركسية في قولها ان ما يظهر من متناقضات في النظام الراسمالي هو ماهية هذا النظام نفسه).

*التناقض:لايلحق التناقض بالتفكير الذاتي فحسب لكن التجربة اليومية تعلن عن وجود عدد كبير من الاشياء والتنظيمات المتناقضة. والحركة الخارجية التي تدركها الحواس ليست الا الوجود الفعلي المباشر للتناقض والتناقض عند هيجل اعمق من الهوية واكثر منها جوهرية

*الحقيقي الواقعي او الموجود بالفعل:وهو اتفاق ماهية الشيء ووجوده الفعلي وهو بذلك يعبر عن طبيعته العقلية، وبين هنا قال هيجل(كل حقيقة واقعية عقلية، وكل عقلي حقيقة واقعية، ولكن ذلك لايعني ان كل موجود عقلي فالموجود لايكون عقليا اذا اتفق وجوده مع ماهيته.

*الحقيقة الواقعية او الوجود بالفعل:القسم الثالث والاخير من دائرة الماهية وهو لهذا مركب الماهية والوجود فيه تصل الماهية الى تمامها.

محاضرة(١٥)

ارثرشوبنهاور(١٧٨٨–١٨٦٠)

المصادر التي استندت عليها في هذه المحاضرة:

١. كمال البكاري: ميتافيزيقا الارادة عند شوبنهاوروبتنشه.

٢. احمد امين وزكي نجيب:قصة الفلسفة الحديثة.
٣. عبد الرحمن بدوي:شتوبنهاور.
٤. ول ديورانت:قصة الفلسفة من افلاطون الى جون دوي.
٥. فؤاد كامل:الفرد في فلسفة شوبنهاور.

حياته:

ولد اثرشوبنهاور في مدينة(دانزج) الألمانية منحدرا من أسرة ميسورة الحال. كان ولده يعمل في التجارة وكان من الأثرياء، وكان يشغل أيضا منصب المستشار في البلاط الملكي البولندي، تميز الأب بتلك الشخصية القوية وحبه للحرية.

تزوج والده من ابنه احد القضاة في مدينة(دانزج) واستطاعت هذه المرأة أن تحرز لها مكانة خاصة كروائية ومثقفة وكاتبه في صفوف المثقفين رزقا باثر رشوبنهاور و(اديل) وهي الأخت الوحيدة له. استقرت عائلته في(هامبورغ) وعندما بلغ شوبنهاور سن التاسعة من عمره أرسله والده الى مدينة(الهافر) في فرنسا لإتقان اللغة الفرنسية، وبعد ان قضى عامين في المدينة عاد الى(هامبورغ) وهو متقن للغة، فرح والده بعودته وبعدها قام شوبنهاور بعده رحلات مع أسرته شملت كل من(سويسرا) و(فرنسا) و(انجلترا) وعاد بعد ذلك الى(هامبورغ) وتدرب على العمل التجاري تليه لرغبة والده، لكنه لم يكن يرغب في الأعمال التجارية بل انصرف الى الدراسة النظرية والبحث التأملي ودخل الجامعة بعد وفاة والده فدرس الطب والفيزياء والكيمياء وعلم النبات تعرف في مكتبة الجامعة على فلسفة أفلاطون وكانت وقد تركت كتاباتهم اثر كبيرا على فكرة مما ساعده على توجيه اهتماماته الى الفلسفة لذا ترك الجامعة متجها الى برلين فأنجز أطروحته التي كان عنوانها"الجذر الرباعي لمبدأ السبب الكافي".

واصل شوبنهاور عمله في التأليف والتأمل بشكل مستمر وتمكن خلال أربع سنوات انجاز كتابه"العالم إرادة وتمثل.

كان شوبنهاور متشائما في حياته حيث كان الخوف والقلق يسيطر على تفكيره، وقد انعكس هذا التشاؤم على فلسفته ظل شعور الخوف ينتاب شوبنهاور حتى تطور الى حالة مرضية حين بدا يشكو من خفقان شديد في القلب ومن تقطع في الأنفاس وبعد ذلك ظهرت عليه أعراض ذات الرئة وأخذت المضاعفات تشتد عليه حتى توفي في ٢٣ سبتمبر عام(١٨٦٠) بعد ان حصل على شهرة سنة(١٨٤٨) أي قبل وفاته بأكثر من عشر سنوات.

مؤلفاته:

١. حول الجذر الرباعي لمبدأ السبب الكافي.
٢. في الإبصار والألوان.
٣. العالم أرادة وتمثل.
٤. حول الإرادة في الطبيعة.

- فلسفته:

حاول شوبنهاور تأسيس فلسفة ذات أساس متين منطلقا من أفكاره السابقة الفلسفية محاولا تطوريها تلاءم منهجه الفلسفي ونظرته الفلسفية المتغيرة.

تأثر شوبنهاور بكل من كانت وأفلاطون وبفلسفة (الاوبانيشادز) أي الفلسفة الهندية الدينية، وتأثر أيضا بالحركة الرومانسية التي ظهرت في ذلك الوقت ولقد كان تأثره بكانت أقوى تأثر من باقي الفلسفات الأخرى حيث يرى شوبنهاور ان كانت اعتقد ان الذهن لايدرك حسيا سوى الظاهرة لانه يقوم بتنظيم وترتيب الأفكار التي تصلنا عن طريق الحواس بواسطة صورتي الزمان والمكان والمقولات، في حين ان شوبنهاور يرى ان لذات تنظيم الأشياء التي من حولها بوصفها ظاهرة أو تمثل من خلال الزمان+ المكان+ السببية وهذه الظاهرة تتضمن موضوعات جزئية تحتوي على سلسلة من علاقات العلية او السبب والنتيجة ويرى كانت أننا لا ندرك سوى الظاهرة او الشيء كما يظهر لنا لان إدراكنا للأشياء يتضمن قيام الذهن بتنظيم هذه ملكة الإحساس والفهم ما يصنان عن طريق الحواس

تقبل شوبنهاور أفكار كانت هذه وتبناها في نظرية الى العالم بوصفة تمثلا لكنة يعدل في هذه النظرة باعتبار ان مبدأ العلة الكافية هو الأساس لكل تمثلاتنا أي إدراكنا للأشياء ولذاتنا وعد مقولات الفهم الاثنى عشرة عند كانت يمكن اختزالها الى مقولة واحدة هي"السببية".

والشيء في ذاته عند شوبنهاور هو من صميم ذاتنا وهي الإرادة فكل شيء في الطبيعة يعبر عن إرادة.

أما عن تأثره بأفلاطون فيظهر من خلال نظرية المثل عنده، فالمثل عند شوبنهاور هو الهدف الذي يسعى الى تحقيقه، فلكي يتخلص الإنسان من الم الإرادة التي تسعى الى تحقيق رغبات لا متناهية يجب عليها ان تدرك موضع المثل وهذا يظهر في(الفن) وبظهور التمثلات في العالم يكون العالم موضوعا بالنسبة للذات وان كل تمثل يتصل بتمثل آخر في أساليب او قوانين محددة وثابتة، والقانون الذي يربط بين هذه التمثلات هو "مبدأ السبب الكافي" أما العلاقات تربط بين هذه التمثلاتتسمى"جذور او حور مبدأ السبب الكافي" وهذه الصور تتعدد بتعدد التمثلات في العالم الخارجي وهي:

١. الصورة الفيزيقية.
٢. الصورة المنطقية.
٣. الصورة الرياضية.
٤. الصورة الأخلاقية.

أذن الصياغة الفكرية لفلسفته شوبنهاور كانت ناتجة عن تأثره بالمثل الأفلاطونية والمعرفة الكانتية لذا يمكن عد هذه الفلسفات المنطلق الأساسي لفلسفة شوبنهاور.

المفاهيم التي استخدمها شوبنهاور في فلسفته:

١. مبدأ السبب الكافي:
٢. الإرادة:
٣. التمثيلrepresentaion:هو التصوير والتشبيه، والفرق بينه وبين التشبيه هو ان كل تمثيل يشتبه وليس كل تشبية تمثيلا والتمثيل في علم النفس ذهني به تحصل المعرفة كالإدراك الحسي والتخيل والحكم من جهة ماهي باعثة على حصول الصورة في النفس وتسمى هذه الظواهر بالظواهر العقلية وهي مقابلة للظواهر الانفعالية والفاعلية في الذهن او إدراك المضمون المشخص لكل فعل ذهني:

محاضرة(١٦)

العالم ارادة:

"العالم إرادتي" هذا قول شوبنهاور إذ يعتبر ان هناك نظرة داخلية لهذا العالم متمثلة بـ(الإرادة) ،فكل ما يحتويه العالم يعبر عن إرادة مكنونة في داخل كل جزء من أجزائه.

والإرادة عند شوبنهاور هي التي تجعل الفرد يطلع على القوة الداخلية التي يتألف منها وجودة وأفعاله وحركته فحركة الجسم تمثل الفعل الإرادي استحال الى موضوع، أي تحول الى شيء نتمثلة أذن الإرادة موجودة في داخلنا وهي تفصح عن نفسها من خلال أفعالها.

وإذا ما فتشنا عن موقع الإرادة في داخل الإنسان وجدنا أنها توجد وراء العقل الواعي، حيث تكمن الإرادة الشعورية واللاشعورية وهي قوة حية حيوية ونشاط ذاتي بالمرتبة الأولى،فضلا عن أنها سبل جارف من الرغبات لذلك يبدو لنا العقل موجها لأرادتنا لكن في الحقيقة ان الإرادة هي التي توجه العقل وترشده الى الطريق الصحيح مثلما يقود السيد العبد، ويعبر شوبنهاور عن هذه الحقيقة بقوله:"الرجل القوي الأعمى الذي يحمل على كتفيه الرجل الأعرج الذي يستطيع ان يرى" هذا الرجل يستطيع رؤية ظاهر الأشياء فقط دون ان يلقي بنظرة الى باطنها، الإرادة اذن ليس لها هدف، فهي تسير سيرا أعمى وراء الرغبات والشهوات التي لانهاية لها تلامس كل ما موجود في هذا الكون. من هنا كانت الظواهر الموجودة في الكون تعبر عن أرادة الحياة وكل إنسان يسعى جاهدا لإشباع الحاجات الخاصة إشباعا لانهاية له، عن طريق غاية يضعها نصب عينة استجابة لنداء الدافع الباطني الموجود في داخلة، لكن سرعان ما يعاني ذلك الشخص من خيبة

الأمل، لانه سوف يدرك ان اللذة الحقيقية ليست اللذه التي بلغها بل تلك التي يشتاق إليها، وفي النهاية يظل يقاوم كل العوائق التي يواجهها لان إرادة الحياة عنده تصطدم بارادة الحياة عند الآخرين، ومن هنا تفقد الإرادة قوتها ومتانتها.

واذا كان العالم يعبر عن الإرادة فما حقيقة هذه الإرادة وكيف تلمس وجودها؟ان الارادة هي الجوهر الخفي في كل شيء وهذه الحقيقة التي نبحث عنها وهي انها"الشيء في ذاته" والإرادة هي جوهر وجود الأشياء بصفة عامة، وجوهر وجود الانسان بصفة خاصة وهذا يعني ان الشيء في ذاته(الارادة) هي أصل كل ما موجود في العالم أي(رؤية العالم من الباطن او الداخل) وهذه الارادة تفصح عن نفسها من خلال التمثلات او الموضوعات ووجد شوبنهاور في المثل تجسدات مباشرة للارداة بدرجات مختلفة لان الافراد او الاشياء الجزئية ستصبح تجسدات غير مباشرة للارادة، اذ ان درجات تجسد الارادة (المثل) تختلف عن الافراد الذين تتجسد فيهم اذن المثال يتموضع للشيء في ذاته او الارادة فهو يمثل الشيء في ذاته لكن تحت مظلة صورة التمثل وهنا يكمن الانسجام بين افلاطون وكانت في راي شوبنهاور.

واذا ما بحثنا عن موقع الارادة في العالم الخارجي عند شوبنهاور نجدها تكون خارجه عن الزمان والمكان منفصلة عن ظاهرتها لاتعرف الكثرة وهي واحدة مثلما يكون الفرد واحد.

وقد نتساءل ما طبيعة العمل الذي تقوم به الارادة وهي في داخل الفرد؟ ان الكائن الحي يتكون من باطن ويعمل من باطن بمعنى ان الإرادة الكلية تصور اعضاءه وتقوم بعملية انسجام وتناسق بينها وبين البيئة المحيطة بها، وهي التي تعمل فيه اثناء اليقظة والنوم بدون انقطاع، والإنسان يمتلك الشعور الارادي الذي يدفعه الى تلبيه متطلبات البدن، وهذا يدل على ارتباط الإرادة بالبدن اذ ان كل حركة او نزوع من جانب البدن يعبر عن الإرادة والبدن هو المعرفة البعدية للارادة، أي ان بدني موضوع ويحدث الصراع المترقب في داخل الانسان من جراء تدفق الرغبات اللامتناهية بين الانسان وذاته وبين الانسان واخيه الانسان، صراع الانسان مع ذاته ناتج عن عدم ايجاد وسيلة من قبل الارادة تشبع بها الرغبات، فعندما تظهر رغبة ما تجاه شيء يسارع الانسان بفعل الارادة الى اشباعها ومن ثم تظهر رغبة اخرى وهكذا تسير الارادة وراء الشعور بالتسليم والخضوع ازاء الرغبة لاشباعها.

ونتساءل هل للعقل دور في ايقاف هذه الرغبات الموجودة في الجسد؟

ان دور العقل عند شوبنهاور عضوي او بايلوجي وليس معرفي،أي ان دوره يتحدد في ايجاد السبيل لتحقيق رغبات الكائن الحي وحاجاته العضوية، فهو يخدم الارادة لكنه يمكن ان يتحرر من ذلك الدور في لحظات معينة ويتم التحرر منها من خلال الفن والزهد.

اذن معنى الارادة عند شوبنهاور ربط بتلبية الرغبات والشهوات في كل مظاهر تجسداتها سواء كان هذا التجسد في الطبيعة ويشمل النبات والحيوان والانسان كان في داخل الانسان نفسه الغرض من ذلك تاكيد الحياة حتى وان لجا الانسان الى الانتحار من اجل الخلاص(الخلاص من الم عدم تحقق الرغبات).

العالم بوصفه تمثلاً:

"العالم هو تمثلي" بهذه العبارة بدا شوبنهاور رحلته مع عالم التمثل الذي تضمن كتابه "العالم ارادة وتمثل" ونحن نستطيع معرفة الاشياء المحيطة بنا من خلال وجود (الموضوعات– التمثلات) ومن خلال امتلاكنا المبادئ القبلي التي تحدثنا عنها سابقا(صورتي الزمان والمكان الحدسيتين ومقولة العلية) في الذات اذن لابد من وجود ذات في مقابل موضوع، وموضوع في مقابل ذات، لكي تستوفي عملية الادراك عملها ويتم ادراك الموضوع من قبل الذات وفق استحضار الذات للمكان والزمان والعلية، وكل ما يوجد في الوجود موجود في الذهن بمعنى ان العالم كله ليس سوى موضوع بالنسبة الى ذات وادراك بالنسبة الى مدرك، وبعبارة اخرى "تمثل"

العالم

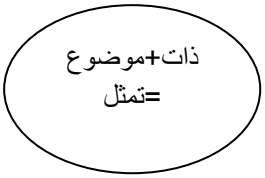

ولما كانت جميع الاشياء الموجودة في العالم تظهر لنا عن طريق عملية واحدة للادراك أي عن طريق وجود المبادئ القبلية في الذهن نجد مع ذلك تعدد الظواهر الموجودة في العالم أي ان هذا التعدد لاينتج عنه اختلاف طبيعتها وجوهرها، وانما يكون اختلاف في سلم درجات او مستويات ظهورها في العالم وهذا يعني ان الظواهر الموجودة في الطبيعة تتدرج من الادنى الى الاعلى أي من المستوى الحيواني الى المستوى الانساني الذي يعتبر هو اعلى مستويات الطبيعة لانه يمتلك العقل الذي من خلاله يصل الى مستوى العبقرية وقد وضع شوبنهاور نوعين من التمثلات:

١. تمثلات الادراك الحسي.يشترك فيها الانسان والحيوان معا.
٢. التمثلات المجردة. يختص بها الانسان فقط.

ويدخل شوبنهاورالتمثلات في عالم الفن فهو يشبه الموزائيك بالتصورات والرسوم على اللوحات بالعينات والعيانات عنده ارقى من التصورات لانها تضيف لا معلومات ومعارف جديدة ذات تصور حادث ودقيق للواقع.

محاضرة(١٧)

طريق الخلاص:

اذا كان شوبنهاور قد فتح على نفسه باب الالم والعذاب وحرص على اعطاء دورا مميزا للارادة وفسح لها المجال للتحكم في الانسان ووضعها في مرتبة فوق مرتبة العقل وكانت هذه الارادة ليس لها حدود للاشباعلانها تولد سلسلة من الرغبات اللامنتاهية، فان الانسان يجد نفسه فريسه للالملانهلايستطيع تلبية كل متطلبات الرغبات او النوازع التي تاتينا عن طريق الارادة وللتخلص من كل هذه الالم اقترح شوبنهاور ان يكون هنالك خلاصا يحقق له الراحة، ويكون هذا الخلاص مؤقتا تارهودائمياتاره اخرى وذلك لتحقق العيش بسعادة وهناء وراحة تامة، وللوصول الى هذا المستوى من العيش علينا ايجاد وسيلة للتخلص من السبب الرئيسي لهذه الالام وهو الارادة.

وهذا الخلاص يتحق من خلال الفن او الاخلاق، ذلك لانه عندما يقوم شخص ما بممارسة عمل فني معين تذوب ارداته اثناء العمل وتنصهر ويشعر بانه مغمور روحيا بالراحة والسعادة فلا يكاد يشعر بما يحيط به، وسبب ذلك هو انسجامه المتناسق اثناء العمل الفني الذي تجردت فيه المعرفة عن الإرادة فأصبح يمتلك معرفة خالصة قادرة على رؤية المثل وهذا ما يستطيع العبقري تحقيقه وذلك لانه يتخلص من ذاتيته الفردية المكبلة بنوازع الاراد ليرتقي الى مرتب الموضوعية التي من خلالها يحقق الابداع.

ان تحقق الرؤيا الجمالية في التعبير الجمالي لاتظهر في مستوى واحد او في درجة واحدة، وانما يظهر التعبير الجمالي في درجات مختلفة لعد ان يتم التخلص من الارادة فمنها ما هو في قمة السلم ومنها ما هو اقل تعبيرا فالجمال يتفاوت تبعا لنسبة نقف الارادة موضوعيا.

ويفرق شوبنهاور بين الجمال والجلال في ان الانسان عندما يتامل الموضوع الذي امامه لادراك المثل يستمر في تامله هذا بكل سرور ورضا ليرتفع او يسمو على ذاته وشخصيته وارادته ويمتلئ الاحساس عنده بالجليل أي انه يكون في حالة تسامي يسمو فوق موضوعه، ويختلف الجميل عن الجليل في انه لايتطلب مقاومة من الذات وتسود المعرفة الخالصة للموضوع بدون وعي لمال يحصل وبدون مقاومة ولايبقى أي ذكر للارادة، اما الجليل فان حالة المعرفة الخالصة يتم الحصول عليها من خلال انتزاع واع وعنيف من علاقة الموضوع السلبية مع الارادة ويتم ذلك من خلال تسامي حر مصحوب بوعي يتخطى الارادة والمعرفة المرتبطة بها.

ان شوبنهاور قد جعل ادراك المثال يكون بطريقة موضوعية يتخلى فيها الفرد عن الذات ليتم التخلص من عائق الادراك وهو الارادة فتعالى الذات فوق الجزئي لتحرك حقيقه المثال الكلي.

ويشير شوبنهاور ان هناك تشابة كبير بين جمال الطبيعة وجمال الفن ومن خلالهما يصل المرء الى ادراك المثل عن طريق التامل الخالص، ويضع الجمال الطبيعي في مرتبة ادنى من الجمال الفني، فهو يحدد موضوع الجمال في ما يكشف عن المثال الكامن فيه، وتجاهد الطبيعة من اجل التعبير عن المثال الكامن في كل موضوع من موضوعاتها، اما الفنان فانه يعرض ابداعه بعمله فينطبق بوضوح عن ما تلعثمت الطبيعة عن نطقه.

انواع الفنون الجميلة:

يرتب شوبنهاور الفنون ترتيبا متناسقا تتباين فيما بينها وتتفاضل وفقا للمثال الذي يعبر عنه، لان المثل نفسها تتفاوت فيما بينها باعتبارها درجات مختلفة لتجسد الارادة.

تتدرج الفنون وفقا لووضح وتميز "المثل" ويكون تدرجها هذا من الادنى الى الاعلى أي من درجة ظهور المثال بصورة خافته وضعيفة الى الدرجة العليا التي يظهر فيها المثال بشكل قوي وواضح للعيان المجرد ولغرض تحق الرؤية الموضوعية للمثال الفني، يجب ان يتمسك الفنان بالمعرفة الخالصة التي تحررت من قيود الارادة وذلك لان تخلية عنا لا يحقق هدف وغاية الفن وهي تحقق الرؤيا الموضوعية للمثل ويندلع الصراع في داخل محتوى كل نوع من انواع الفنون الجميلة، وفيما ياتي مراتب الفنون التي يظهر فيها المثال والصراع الداخلي لكل فن من الفنون.

١. الفن المعماري.
٢. فن تنسيق المياه وفن البستنه.
٣. فن الرسم والنحت.
٤. فن الشعر والتراجيديا.
٥. فن الموسيقى.

وارقى انواع هذه الفنون عند شوبنهاور هو(فن الموسيقى) اذ انه يعبر عن سر الوجود الكائن في العالم الإرادي.

أذن هذا هو الخلاص المؤقت (الخلاص بواسطة الفن) اذ ان وظيفة الفن التحرر المؤقت من الألم الذي تسببه الإرادة، لذلك عد شوبنهاور التحرر من الإرادة شرط ضروري لأدراك الجمال في الفن، ان مهمة الفن تكمن في التحرر من قيود الإرادة وقيود الامتثال للظواهر من خلال تأمل صور الموجودات وهذه غاية سامية يسعى اليها الفرد في الوجود من اجل الخلاص.

لكن هذا النوع من الخلاص(الخلاص عن طريق الفن) سرعان ما يزول بمجرد الانتهاء من تأمل المثل لذا علينا ان نبحث عن خلاص أيدي ويعني به شوبنهاور الأخلاق. أي الخلاص عن طريق الأخلاق الدينية.

محاضرة (١٨).

الأخلاق بوصفها خلاصا أبديا:

لما كان الخلاص المؤقت(الخلاص عن طريق الفن) لا يدوم اذ سرعان ما يعود الانسان الى عالم الاحزان والالام التي تسببها نوازع الارادة لذا اقترح شوبنهاور خلاص ثاني هو الخلاص عن طريق الاخلاق حيث تكمن فيها الرحمة والشفقة ويشير شوبنهاور الى ان هذا الالم الموجود في داخل الانسان هو ناتج عن توكيد ارادة الحياة في البدن من خلال الغريزة، ويكون الالم ناتج ايضا عن الانانية التي تعمل شعار"كلشي لي" هو لي للحفاظ على كياني وعلى مصلحتي الخاصة والانانية الموجودة عند الإنسان قد تدفعه في بعض الأحيان الى قتل أخيه الإنسان من اجل مصلحته الخاصة ويمكن علاج هذه الأنانية من خلال الحب والرحمة، فالحب في الأخلاق هو في جوهرة رحمة، وفي شعوره إرادة القوي بالرحمة تتخلص من نفسها ويبدأ تطهيرها وتنقيتها من جميع الشوائب وقد أعطى شوبنهاور أهمية كبيرة للرحمة اذ جعلها من مرحلة متوسطة بين طريق الخلاص من التشاؤم الراهن أي الخلاص عن طريق التقشف بالزهد والوصول الى حالة فالغناء وعندما تمتلئ قلوب الناس بالمحبة تسود الرحمة بين صفوفهم وهذا يؤدي الى سيادة فعل الخير والخير عنده هو نسبي في جوهره.

وهذا العمل كله يصبح في اطاره النظري اذا لم يجد موقعه الفعلي للتخلص من الشقاء وهذا لن يتم الا من خلال تطبيق الفكرة التي تتلخص في عبارة "انت هو هذا" ومعناها هو ان تكشف ذاتك في الاخرين على ان ما انت الا هؤلاء الاخرين جميعا أي انك تنسى الامك لتعمل على تخفيف الامهم تهب روحك في سبيل الكائنات فتكون فيديا.

ويمكن توضيح ما طرحة شوبنهاور من افكار عن طريق المخطط التالي:

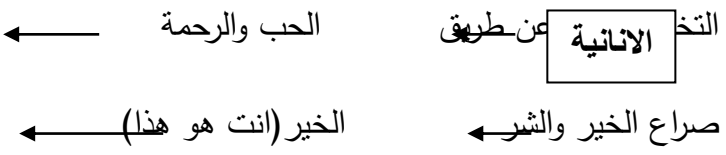

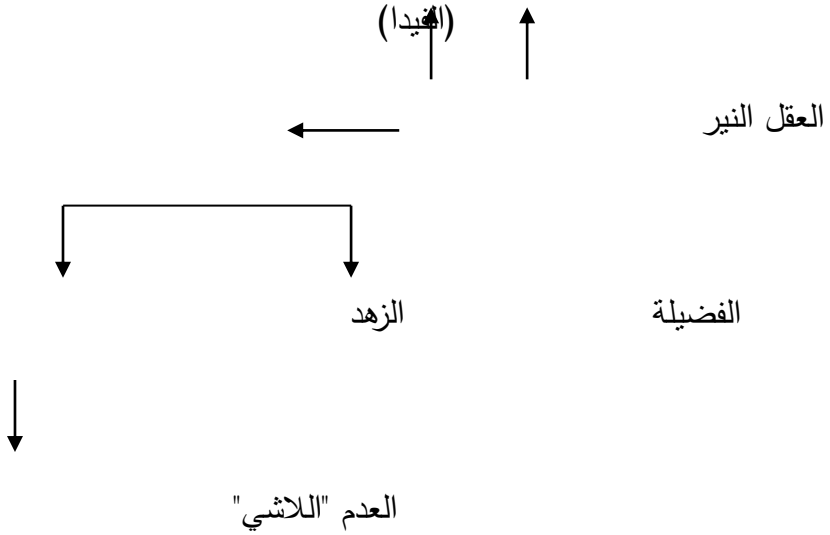

محاضرة(١٩)

فردريك نبتشه(١٨٤٤-١٩٠٠)

المصادر التي اعتمدت عليها في هذه المحاضرة او يمكن الرجوع اليها:

١. ميتافيزيقا الارادة عند شوبنهاور وبنتشه /كمال البكاري.
٢. فلسفة الحضارة/ البرت اشفينسر/ ت عبد الرحمن بدوي.
٣. عادل العوا/ المذاهب الاخلاقية.
٤. الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر/ حسن الكحلاني.
٥. قصة الفلسفة الحديثة، زكي نجيب محمود واحمد امين.
٦. هكذا اتكلم زرادشت/ بنتشه/ ت. فليكس فاربي.
٧. قصة الفلسفة من افلاطون الى جون دوي/ دول ديورانت/ ت فتح الله محمد المتعشع.
٨. ونيتشه/ فؤاد زكريا؟
٩. نيتشه/ مصطفى غالب.
١٠. الفلسفة الحديث/ امل مبروك

***حياته:**

فيلسوف ألماني ومؤسس فلسفة القوة وهو من اكثر الفلاسفة تاثرا في القرن العشرين ولد في ١٥ اكتوبر عام ١٨٤٤، في قرية(يكن) في المانيا وقد صادف هذا اليوم عيد مولد ملك بروسيل (فردريك وليهم الثاني) لذا اطلق ابيه عليه اسم(فردريك) تيمنا باسم الملك وبعد وفاة والده سافرت امه مع اخته(اليزالبيث) الى بلده (نومبرغ)، حيث عاش هناك فيلسوفنا في بيئته نسائية خالصة تلقى تعليمة مع رفاقة حيث الف جمعية ادبية فنية وضع فيها الحانا واشعار وقد عرف

في تلك الفترة (بالراهب الصغير) حيث كاف متدنيا جدا وعندما اكمل دراسته الثانوية تابع ذوقة المفعم بالتدريس والموسيقى لذا كان تلميذا مجتهدا فنال درجة الدكتوراه في الفلسفة.

وفي اثناء زيارته لاحد المكتبات وجد كتابا بعنوان"العالم ارادة وفكر" لشوبنهاورفقراة وهنا بدا ينتشه ينظر للعالم نظرة مغايرة تماما وبدا اعجابة به واضحا لكن مالبث ان انقلب على شوبنهاور وعلى مؤلفة منفدة نقدا لاذعا عاصر ينتشه اصدقاء كثيرون من امثال شوبنهاوروفاغنر وادوين وهود، ومع كل واحد من هؤلاء قصة له تغير مصالح حياته وتنقلها من حال الى حال. لذا عانى الكثير من الامراض النفسية والجسدية والحالات المتأزمة في حياته الى ان اصيب بالجنون الى ان توفي في عام ١٩٠٠ وهو في ظل رعاية اخته "اليزابيث"

*مؤلفاته:

يمكن القول ان معظم مؤلفاتينتشه كانت اقرب الى الشعر المنثور منها الى الفلسفة لذلك نرى ان الكثير من تعابيره الشعرية ذات معان تخص فلسفته هو فمثلا يقول:

:نحن البحار الجديدة"

هناك– الذهاب هناك ايده منذ الان

علي انا اعتمد، على يدي

مفتوحا يعرض نفسه البحر، في الزرقة.

يريد ان ينقذف مركبي الجنوي* نسبة الى مدينة جنوة.

ويمكن القول ان العزلة التي عاشها قد اضفت على اسلوبه طابع مميز يوحي بالعظمة والترفع والتعالي، وكان ذلك نتيجة ما انتابه من شعور بالوحدة الذي يطفي على كتاباته فتفكيره تفكير عميق ومؤثر في نفس الوقت ومن اهم كتبه:

١. مؤلفات الشباب.
٢. مؤلفاته عن اليونان.
٣. تاملات في غير الاوان.
٤. الفلسفة في عصر الماساة عند اليونان.
٥. انسان مفرط في انسانيته.
٦. العلم المرح.
٧. عبر الخير والشر.

٨. اصل الاخلاق وفصلها.
٩. هكذا اتكلم زرادشت.
١٠. الفجر
١١. هذا هوالانسان

محاضرة(٢٠)

فلسفته:

ترتكز فلسفته ينتشه على تغير جذري للقيم، اذ انه قابل التاريخ بافكار جديدة وللوصول الى هذه الافكار لابد من العودة الى الوراء، عودة تعني رفض كل ما كان بعد حتى الان"مقدسا" و"خيرا" و"حقا" لذا اقترن اسمه بنقد جذري للدين وللفسلفة وللعلم وللاخلاق وللقيم الانسانية كافة.

ويرى ينتشه انه لكي يصل الانسان الى مرتبة الرقي والتقدم عليه ان يتخطى جميع العقبات التي تتفق بطريقة وان يحطم الاصنام التي وعى عليها فهذا التخطي وذلك التحطيم انما هو بمثابة ثورة على كل سلطة خاصة وانكار لكل مصدر للقيم مغاير للانسان ذاته وهذا الافكار يتمثل بـ(اصناع الاخلاق واصنام الدين واصنام الفلسفة).

يرى ينتشه ان انحلال الفلسفة يرجع الى فكرة الفلاسفة في العقل وان اخطر شيء يهدد الحياة والوجود الحقيقي هو العقل مفهوما على هذا النحو واذا ما بحثنا عن مصدرا لتنوع الفكري الذي اعتنقه ينتشه فسوف نجد انه قد مر في حياته بمراحل عديدة اهلته لصياغة طريقة الفلسفي وهذه المراحل هي:

١. المرحلة الرومانسية:تمتد هذه المرحلة من(١٨٦٩-١٨٧٦) وفي هذه المرحلة تاثر ينتشه بكل من(شوبنهاور) و(فاغنر) وما يميز هذه المرحلة هو ظهور كتابه "مولد الماساة" وافكار لاموسمية وتنتهي هذه المرحلة بانتهاء العلاقة بينهما ويمكن عد هذه المرحلة مرحلة تبلور الافكار الغنية عند بنتشه.
٢. المرحلة الوصفية-النقدية:تمتد هذه المرحلة من(١٨٧٦-١٨٨٢) وقد تاثرينتشه في هذه المرحلة بالمنهج العلمي لذا كانت له نظرة خاصة بالعلم والعلم في نظر نيتشه يعني في جوهرة ويقصد به بالضبط نقد معطيات الفلسفة والدين والاخلاق والفن الموروثة، والعلم لايعني في نظرواكتشاف قطاع من الواقع بل اقامة البرهان على ان هذه المواقف الانسانية تتسم بطابع الوهم، وقد ظن ينتشه انه قار على تقديم مثل هذا البرهان وان يتسم بطابع "علمي" عن طريق الكشف السكولوجي لدوافع الوهم.
٣. المرحلة الحيوية:تمتد هذه المرحلة من(١٨٨٢-١٨٨٨) ويتميز تفكيره فيها بتمجيد للحياة والارتقاء والسمو بالذات فيصبح عنده المبداالديونيزي هو "ارادة القوة" التي تريد الحياة بحيث تتجاوز نفسها في "الانسان الارقى" وكذلك طرحه لفكرة العود الابدي أي عود فعل الصيرورة اللانهائي.

ان نيتشهلايريد ان ينكر الوجود بوصفه وجود الموجود وانما بوصفه صيرورة وبوصفه الواقع للعب العالم، أي البناء والهدم في ان واحد.

فالصيرورة مرتبطة بالوجود وهذا ما يمثل اعلى درجات ارادة القوة وفكرة ارادة القوة تمثل مظهرا من مظاهر الوجودية ان ينتشه لاينتمي لمذهب محدد كان يكون المذهب الوجودي او غيره ففلسفته ذات الوان فكرية مختلفة تحمل افكار واقعية ووضعية وبراجماتية ووجودية فهي تعبر عن روح التطور في داخل الانسان وفي مجريات الحياة وفلسفته جاءت لنقد الانسان من الخمول وعدم اعتماده على نفسه دافعا الى تطوير نفسه بنفسه باعثا الحياة والارادة داخل نفسه.

محاضرة(٢١)

مذهب الاخلاقي:

قام نبتشه بنقد القيم الاخلاقية السائدة وقدرها تقديرا بيولوجيا وذلك عن طريق بحثه في اللامعقول البدائي الذي تمتد الحياة بجذورها فيه، اذا اعتقد ان هذه الجذور تتمثل بجذور اليهود فاليهود بنظر ينتشه هم الذين اوجدوا التفرقة بين السيد والعبد كما اوجدو القيم التي تحقق من مقدرة الانسان كالمساواة والخير والفضيلة للحيلولة دون تقدمه وما قام به نيتشه هو تحطيم كل هذه القيم على اساس الاعتراف باللامعقول والام الخلق وعدم اخلاقية الحياة وهذه الشروط الوحيدة التي تتيح للانسانية ان تحقق فيما جديدة اعلى من جميع القيم ومن هنا قبل ان نيتشه اخذ عن (شوبنهاور) نزعته التشاؤمية، ولكنة اضاف اليها نوعا جديدا من الشجاعة والقوة لكي يتمكن من تنفيذ مشروعة الانقلابي.

ان الاخلاق الشائعة كما يرها نيتشه هي اخلاق باليه لا تصلح في مبادئها العامة او تفصيلاتها الخاصة لتوجية الانسان نحو المثل العليا السليمة وذلك لاننا نعيش في فترة التدهور الاخلاقي بالمعنى الخاص لهذه الكلمة عند نيتشه– يسود فيها نمط اخلاق معين يسمية باسم "اخلاق العبيد" والتقابل بين اخلاق العبيد واخلاق السادة يناظر الأخلاق المنحلة والسليمة عند نيتشه فعندما تسود المبادئ الاخلاقية الزاهدة الداعية الى الهروب من اليحاة تكون اخلاق العبيد هي السائدة؟

ان اخلاق السادة تتصف قبل كل شيء بأنها أخلاق للأقوياء فيها دائما ما يشعرنا بالقوة وبالسمو الناشئ من الإحساس بالامتلاء والقيمتان الأساسيتان في هذه الأخلاق هما"الجيد" و"الردي" والتقابل بينهما يماثل التقابل بين"الرفيع" و"الوضيع" ومقياس الفعل هنا هو ما يعبر عن روح القوة التي يستشعرها المرء ذاته واذا ما صدر هنها الخير فهو لايصدر عن خوف او اكراه او ضغط، وانما عن احساس قوي بالوفرة والامتلاء والقوة الفياضة.

ولكن ليس النبلاء والاقوياء هم وحدهم الخالقين للقيم فالبائسون والفقراء والمرضى– كل أولئك هم"عبيد الاخلاق" حسب اعتقادينتشه.

ويرى نيتشه ايضا ان الصراع بين قيم السادة قيم العبيد لازال قائما الى يومنا هذا على الرغم من انتصار قيم العبيد في النهاية

ومشروعة يتخلص في مايلي:

يعتقد نيتشه ان القيم تربى عليها الانسان منذ زمن هي قيم بالية لم تعد تنفع بشيء اليوم فهذه اصبحت اوهاما خالية من الحقائق فكل ما موجود هو كذب ووهم فالانسان اليوم لم يعد يمارسها ولا يتبناها على اساس ان تمثل له على انها مبادئ يتبناها فكل ما موجود هو زيف ووهم فلم يعد احد يمارس القيم اليوم علما وجهها الاصيل من هنا تظهر العدمية عند نيتشه نتيجة للتصور المشوة عن الحياة فالعدمية عنده تعني بان القيم التي كان الانسان يعدها قيما غعليا حتى هذه اللحظة لم تعد جديرة به كونه انسانا ذلك لان مضامينها تشوهت واختلطت وهكذا ظل الانسان طريقة الصحيح فالناس يشعرون بانهم خدعوا، وهذا الشعور ينقلب الى ياس من كل شيء وانكار لكل شيء وعلى هذا الأساس يكون الشك والأفكار هو الطابع السائد لهذا الوضع وهذا ما كان رائصا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حالة من الشك والانحلال وهذه المرحلة تسمى بـ"روح الإنكارية" من هنا نظر فيلسوفنا الى (العدمية) على انها مرحلة انتقالية وسطى ويتمثل هذا الانتقال بنقطتين:

١. تعني كل القيم الموجودة ....(إعلان موت الإله)
٢. محاولة أثبات قيم جديدة...(إعلان إرادة القوة).

ويطرح نيتشه فكرة(موت الالة) ويعني بها موت القيم والتقاليد والعقائد المتعارف عليها فقد راى ان ابناء عصره لم يعودا يؤمنون ايمانا عمليا بالقيم الاخلاقية والدينية والجمالية وغيرها من القيم الحياتية التي يعيش الانسان في ظلها لذلك اعلن موت الالة أي موت تطبيق القيم بشكلها الحقيقي عند الانسان.

والسؤال الذي يطرح نفسه الان هو :كيف يمكن ان نقوم بكل ذلك؟ أي كيف لنا ان نقوم بإسقاط كل القيم القديمة وإحلال قيم جديدة محلها.

يجيبنا نيتشه قائلا:من خلال ارادة القوة نستطيع اسقاط القيم القديمة وانشاء قيم جديدة فالارادة هي السبيل المشروع لقيامها بالدم والبناء وهذه الارادة موجودة عند كل فرد منا لكن بنسب متفاوتة فعلى الانسان ان يعزز ثقته بنفسه ويقوي ادراته من اجل الخلق وابداع وهذا الا يتم الا من خلال امتلاكة الحرية الكافية للقيام بذلك.

ويطلق بيتشه صفة ارادة القوة على(السوبر مان) الذي يحمل لواء القيم الجديدة وهو البطل الذي يبنى من جديد اساس القيم الملائمة لانسان السوبر مان وهذا يتم وفق الصيرورة ارادة القوة التي تنسخ ذاتها وتتجاوز باستمرار كقدرة دائمة على المجاوزة.

الانسان الاعلى هو تجسيد المثل الاخلاق الاعلى عند نيتشه فليس هو انسانا طيبا يخضع للقيم الاخلاقية المعترف بها، ويحاول تحقيق الخير وتجنب الشر، بل هو انسان يسعى الى مزيد من الحيوية في كل شيء.

يقول زرادشت"لقد اتيتكم بنبأ الانسان المتفوق، انه من الارض كالمعنى من المبنى، فالتتجه ارادتكم الى جعل الانسان المتفوق معنى لهذه الارض وروحا لها".

ويصور نيتشه مراحل الحياة التي يرتقي فيها الانسان للوصول الى القمة في كتابه"هكذا نتكلم زرادشت، حين جسد فيه صورة ارتقاء عقل الانسان الباطني ابتداء من الجمل وانتهاء بالطفل او ابتداء من الطفل وانتهاء بالجمل، ويعطي تعبيرا مجازيا لما شعر به العبقري اثناء عملية ارتقائه فهو يمر بكا الصفات التي يتصف بها الطفل والاسد والجمل.

من هذا المنطلق يطرح نيتشه مفهوم (العود الابدي) ومعناه ان جميع الاحداث التي يمر بها الانسان من العمومية وموت الاله وارادة القوة والسوبر مان تتكرر باستمرار ويشبه العود الابدي بخاتم الخطوبة الذي يكون شكله دائري تمر به كل الاحداث اليومية وفق صيرورة وحرية لا متناهية:

ويمكن تلخص مذهبة من خلال المخطط التالي:

الانسان الارقى

العود الا

السوبرما

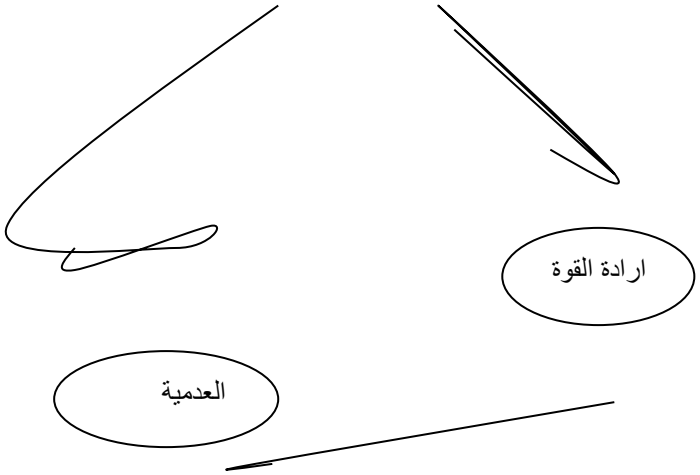

الإرادة

محاضرة(٢٢)

أوجست كونت (١٧٥٤-١٨٥٧)

المصادر التي اعتمدت عليها في هذه المحاضرة:

١. ليفي بريل/فلسفة أوجست كونت/ ت:محمود قاسم والسيد محمد بدوي.
٢. وليم كلي رايت/ تاريخ الفلسفة الحديثة/ ت محمد سيد احمد.
٣. بيار ماشيري/كونت الفلسفة والعلوم، ت سامي ادهم.
٤. فاروق عبد المعطي /أوجست كونت مؤسس علم الاجتماع.
٥. السيد محمد بدوي/ مبادئ علم الاجتماع.

حياته:

فيلسوف فرنسي ولد في مدينة مونبلية وبعد أن تم دراسته الجامعية أشتغل وظيفة معيد بمدرسة الهندسة ثم عين بعد ذلك سكرتيرا لـ(سان سيمون) وعاونه في أخراج أبحاثه ومؤلفاته ويعد كونت من أوائل المؤسسين لعلم الاجتماع الحديث.

أن فلسفة كونت متأثرة بأفكار من سبقوه من فلاسفة القرن الثامن عشر وقد عاش الاضطرابات التي سادت عصره ومجتمعه وعاصر تقدم العلوم والاكتشافات في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وكون لنفسه فلسفة هدفها أعادة تنظيم المجتمع.

وقد عاش كونت سلسلة من المحن في حياته اذ انه فقد وظيفته كممتحن في مدرسة الهندسة واستغنى المعهد العلمي عن خدماته وحرم بذلك من كل مورد للرزق واستطاع من خلال أفكاره النيرة أن يجتاز هذه الصعوبات فألف العديد من الكتب التي ساعدت على تأثر الكثيرين بأفكاره.

وفي أيامه الأخيرة وجه همه الى التوفيق بين أنصار الكاثوليكية وأنصار المذهب الوصفي وأراد أن يكون من الفريقين جبهة واحدة ضد العناصر الثورية لكن الأمة قد تفاقمت فلم يستطع تحقيق أماله وفي سنة(١٨٥٧) واجهته أزمة حادة مفارق الحياة وقد اختار في وحيته المكان الذي يدفن فيه وأوصى أن توضع على جانبي قبره لوحتان تذكاريتان:احدهما على يمنه تحمل اسم "كلوتيلد دي فو" رفيقة "أوجست كونت" الأبدية. والأخرى على يساره وتحمل اسم والدته مثال الأم العطوف والوفية كذلك أوصى أن يكون قبره في غاية البساطة وان يكتب عليه شعار المذهب الوصفي وهو:(الحب مبدؤنا والنظام قاعدتنا والتقدم غايتنا).

مؤلفاته:

١. دروس في الفلسفة الوضعية.
٢. مبادئ علم الفلك– الموسوعة الفلسفية لعلم الفلك.
٣. دروس في الروح الوضعية.
٤. السياسة الوضعية.
٥. عقيدة الدين الوضعي.
٦. التركيب او التأليف الموضوعي.

فلسفته:

لقد كان الإصلاح غاية لفلسفة"كونتلانه رأى انه لابد من ربط الفلسفة بالحياة حتى يمكن إصلاح المجتمع ولكن صلاح المجتمع لايمكن تحقيقه إلا إذا صلحت الأخلاق وتضطرب الأخلاق ولكنها أذا لم يتحقق الوفاق بين العقول وهذا هو ما حدث على اثر الثورة الفرنسية التي أطاحت بالنظام الاجتماعي القديم.

ويعد أوجست كونت واضع أسس (العلم الوضعي) حيث يفسر لنا كيف انه خالف المصلحين في عصره عندما بدا أولا بوضع أسس الفلسفة لكي يقيم عليها الأخلاق والدين ويعتقد كونت انه على وفاق مع نفسه عندما يقرران الاضطراب الخلقي في عصره لايرجع الى أسباب سياسية بقدر ما يرجع الى الاضطراب العقلي وان هؤلاء الذين يريدون أصلاح المجتمع من الوجهة السياسية هم مخطئون لانهلايكفي في بقاء مجتمع من المجتمعات أن يوجد نوع من الانسجام العاطفي في المصالح المادية بين أفراده بل لابد من وجود اتفاق عقلي يتحقق بينهم على هيئة مجموعة من العقائد المشتركة ومعنى هذا أذا تم تحقيق انسجام عقلي في كل نفس فردية وانتقل هذا الانسجام الى بقية أفراد المجتمع فعندئذ نقول أن الانسجام الخلقي قد تم تحقيقه في المجتمع.

لذلك اعتقد الباحثون أن فلسفة كونت ترمي الى اكتشاف الحقائق الأساسية لتحقيق الوحدة بين العقول من جانب والى وضع القواعد العلمية الصحيحة لعلم الاجتماع على ضوء هذه الحقائق من جانب آخر.

وقد فسر لنا(كونت) سبب الاضطراب العقلي في عصره يرجع الى أن الناس لايتبعون في التفكير منهجا واحدا يقودهم الى حقائق يسلم بها الجميع دون جدل بل هم يتبعون مناهج ثلاثة. وهذه المناهج هي:

١. منهج التفكير اللاهوتي او الأسطوري.
٢. منهج التفكير الميتافيزيقي الخيالي.
٣. منهج التفكير الوضعي العلمي.

وتدل هذه المناهج من الوجهة التاريخية على المراحل التي مرت بها الإنسانية فقد ما الناس يفكرون في بادئ أمرهم تفكيرا أسطوريا ولم يتم الانتقال من المرحلة الأسطورية الى المرحلة العلمية ألا بعناء وجهد كبيرين، كما انه لم يكن من المستطاع أن يتم الانتقال من إحدى المرحلتين الى الأخرى دفعه واحدة لذا كان لابد من ان تتوسط بينهما مرحلة ثالثة هي مرحلة التفكير الميتافيزيقي

محاضرة(٢٣)

قانون المراحل الثلاث:

أن قانون المراحل الثلاث استطاع أن يضع(علم الاجتماع) وهو المحور الرئيسي لفلسفته (كونت) كما أن قانون المراحل الثلاث هو قانون ضروري وذلك لانه يطبق بتطابق تام على كل مسارات الذهن،وهو يخضع تطور الذات، وهو ينشئ انطلاقا من اجل ضروري ويلح كونت على واقع أن القانون يجعل هذه الحالات الثلاث متباعدة ومضادة تعاقب الواحد بعد الأخرى وهذه الحالات او المراحل او القوانين هي:

١.المرحلة اللاهوتية:

في هذه المرحلة تقود الذات الإنسانية أبحاثها نحو الطبيعة الداخلية للكائنات ويعطي كونت أهمية كبيرة لهذه المرحلة وذلك لانه تاريخ الذات الإنسانية قد بدا بواسطة أوهام فوق طبيعة إذ أن الذهن الإنساني في نشأته كان قد وجد مفقا في دائرة فاسدة حيث لم يكن عنده أي وسيلة للخروج ففتح ممرا طبيعيا بواسطة التطور العفوي للمفاهيم اللاهوتية.

ويطلق كونت اسم اللاهوت على طريقة عامة تطبق في فهم مجموعة الإلهة وهو يستخدم تفسير ظهور هذه الظواهر بالرجوع الى إرادة الإلهة وهو يستخدم هذا الاسم(اللاهوت) للدلالة على تفسير ظواهر الطبيعي عن طريق الأسباب الخارقة

للعادة والقائمة على التعسف فكلمة لاهوتي معناها"خرافي" وفي مكان أخر يطلق كونت على هذا الاسم (خيالي) او "أسطوري" ولا يعزو كونت هنا الى التقاليد الدينية التي يتلقاها الطفل عن والدية بل الى(الميل الفطري) الذي يدعوه في أول الأمر الى تفسير الظواهر الطبيعية ببعض الإرادة لا ببعض القوانين فكلمة لاهوتي تعني هنا أن المرء يعزو الى الآلهة رغبات وتصرفات إنسانية ويرجع أليها في تفسير أسباب الظواهر.

٢.المرحلة الميتافيزيقية:

ينتقل الذهن الإنساني انتقال بطيء وتقدمي من المرحلة الأولى الى المرحلة الثانية اذ ان الذات عندما تمر من المرحلة اللاهوتية وهي تبحث عن أسباب شخصية تتنقل الى الميتافيزيقا حيث تفسر كل الأشياء بواسطة مبادئ الشخصية فهي تعطي لمسارها شكلا أكثر تجريدا ان الميتافيزيقا تجمل مبدأ التسلسل التصنيفي الذي يقود الذات الوضعية، ولاتهتم للروابط المتفاضلة التي توحد الوقائع حسب مستويات الحقائق التي تقع أي حسب علاقتها مع الذات التي تتناولها لكنها تكتفي بتفسير إجمالي وموحد وذلك لفهم الأشياء كما هي في ذاتها وهي تفصلها تجريديا عن العلاقة الأساسية بين الذهن والأشياء او بين الذات والموضوع التي هي الشرط لكل معرفة ممكنة.

ويشير كونت الى ان الميتافيزيقا تمثل "شباب" الذات الإنسانية بعدما خرجت من طفولتها وبعدما وصلت الى "رجولتها"

فالمرحلة الميتافيزيقية اذن تمثل وسيلة تحضر الذهن تدريجيا على تغير النظام وهي حد حيث مفهومه هو ذاته فيزيولوجي:

٣.المرحلة الوصفية:

في هذه المرحلة تلاحظ ان الذهن الإنساني الذي يتعرف على استحالة الحصول على مفاهيم مطلقة يتراجع عن البث عن الأصل وعن مصير العالم ومعرفة الأسباب الخاصة للظاهرات وذلك لان طريقة البحث تتغير فتكون بواسطة البرهان والملاحظة أي تفسير الوقائع المختزلة الى حدودها الواقعية بمعنى اخرى اننا نلتمس الميزة الاساسية للفلسفة الوضعية من خلال الظواهر وهي خاضعة لقوانين طبعية ثابته حيث الاكتشاف الدقيق والاختزال الى اقل عدد ممكن هو الهدف لكل جهودنا فهده المرحلة ضرورية لانها تشكل الطور النهائي لتطور الذات كما ان التاريخ العقلي للانسانية بينت هذه المراحل التي مرت بها المعرفة فقانون الحالات الثلاث هو الصفة العامة لتقدم الذكاء الإنساني الذي لا ينظر اليه من جهة شخص فردي وانما من جهة الشخص الاجتماعي وهو الانسانية.

محاضرة (٢٤)

تصنيف العلوم:

يرتب كونت العلوم ترتيبا هرميا في النظام الاتي:

الرياضيات، الفلك، الفيزياء، البيولوجيا، وعلم الاجتماع، ان كونت في هذا المعرض التصنيفي لايناقش سوى العلوم المجردة، ولا يتناقش العلوم التطبيقية لتي تعتمد عليها مثل الطب والهندسة وذلك هو النظام الذي ظهر فيه كل علم من الناحية التاريخية والذي وصل الى المرحلة الوصفية:

فالعلم الاول يفحص اشد الظواهر عموما واقلها تركيبا واشدها تجريدا واكثرها بعدا عن الانسانية وتؤثر عذع الظواهر في جميع الظواهر الاخرى، دون ان تتاثر بها اما الظواهر التي يدرسها العلم الاخير فهي اشد الظواهر خصوصا واكثرها تركيا واشد اهتمام بالامور الحسية.

ويعارض كونت بشد جميع المحاولات الموجودة في مذهب الرد او كما يسميه "المذهب المادي" فمن المستحيل ان نرد باستمرار ظواهر الفيزياء الى الرياضيات لان ظواهر كل علم تحكمها قوانين جديدة خاصة بهذا العلم بالاضافة الى قوانين العلوم الابسط التي تسبقه ويعالج علم الاجتماع اعلى العلوم النظرية واكثرها عينة ظواهر جميع العلوم الاكثر تعقيدا وتغيرا. ولاتظهر الفلسفة بصورة طبيعية في قائمة العلوم وتنتمي الميتافييزيقا بالمعنى القديم لدراسة الجواهر والعلل والمبادئ البعيدة الاخرى الى مرحلة من التفكير يجب ان تلقي وتتكون فلسفته الوظيفية الخاصة من تفسير نسقي وتصنيف للعلوم وتطور مضامينها من اجل اصلاح اجتماعي.

اما علم الاجتماع فيهتم به اهتمام كبيرا وهو يعد مؤس هذا العلم ويميز بين(علم الاجتماع الاستاينكي) و(علم الاجتماع الديناميكي) وتمثل الهندسة الجانب السكوني من الرياضيات في مقابل الميكانيكا التي هي ديناميكية ويفحص علم الاجتماع الاستاتيكي الشروط الدائمة لوجود المجتمع ويشدد على النظام بينما يتعقب علم الاجتماع الدناميكي تطور المجتمع ويؤكد على التقدم.

محاضرة(٢٩)

كارل ماركس (١٨١٨- ١٨٨٣)

المصادر التي اعتمدت عليها هذه المحاضرة والتي من الممكن الرجوع أليها:

١. تاريخ الفلسفة الحديثة / يوسف كرم.
٢. مفهوم الإنسان عند ماركس/ اريك فروم/ ت.محمد سيد رصاص.

٣. بؤس الفلسفة/ كارل ماركس/ت:محمد مستجير مصطفى.
٤. الماركسية/ هنري لوفيفر/ ت:حبيب نصرالله.
٥. معنى الماركسية/ ج.د.هـ. كول/
٦. كارل ماركس/ ايسبابرلين/ ت:عبد الكريم احمد.
٧. راس المال/ كارل ماركس.
٨. منطق ماركس/ يندريش زلتي/ ت:تامر الصفار.
٩. كارل ماركس(مسالة الدين) /سربست بني.

حياته:

مناصر للشيوعية، ولد من ابوين يهوديين كانا قد اعتنقا البروتستانتية من قبل اربع سنين درس الفلسفة اعجب بجدل(هيجل) ولكنه انكر اسرافه في التصورية فاعتنق المادية تعلم الفلسفة بجامعة بون، ثم زج بنفسه في العمل الاجتماعي والسياسي(١٨٤١) فكان صحفيا وداعية للثورة، حرر في بروكسل مع صديقة انجلز"بيان الشيوعيين" وحاول ان ينظم الحزب الاشتراكي في المانيا ولكنه اخطر الى ان يلجا الى لندن حيث قام بتاليف العديد من الكتب.

وفي الوقت الذي كان يواصل دعوته الثورية اتخذ شعار((ايها المعوزون في جميع البلدان اتحدوا)) فاسس الدولة الاشتراكية الاولى التي ظلت قائمة الى عام(١٨٧٠) ولكن الحرب بين المانيا وفرنسا وظهور الفتنه الشيوعية بباريس اضعفا نفوذها الى حد كبير، وانشا تلامذهماركس"الدولية الثانية" وجعلوا مقرها في لندن عام(١٨٨٩) واستمرت سنوات طويلة.

مؤلفاته:

١. نقد الاقتصاد السياسي(١٨٥٩).
٢. نداء الى الطبقات العاملة في اوربا(١٨٦٤).
٣. راس المال(١٨٧٦).
٤. بؤس الفلسفة(١٨٤٧)

محاضرة (٣٠)

فلسفته:

تعتبر الماركسة اكمل تعبير عن المذهب الاشتراكي ولها النفوذ الاكبر في الحركات العمالية.

وقد قام ماركس بحل المتناقضات التي اكتشفها في المذاهب الفلسفية السابقة واستطاع ان يبني له مذهبا يستخرج فيه الوقائع والافكار في عزلتها الظاهرية واكتشاف العلاقات واستطاع ايضا بيان اهمية الظواهر الاقتصادية والتي اخضعها لدراسة علمية– عقلية متابعة بمنهجية تتناول وقائع موضوعية ويمكن تحديدها وهذا ما يدعى بالمادية التاريخية واكتشف ماركس كذلك البنية المتناقضة للاقتصاد الرسامالي وتحليل الامر الاساسي تحليل العلاقة الاساسية(المتناقضة بصورة جوهرية) التي تشكل هذا الاقتصاد:الاجر ،انتاج، فائض القيمة ويعود الفضل الى ماركس في اكتشاف الدور التاريخي للبروليتاريالامكانية سياسة مستقلة (بالنسبة للبورجوازية) للطبقة العاملة ولتغيير في العلاقات الاجتماعية بوساطة هذه السياسية المستقلة وقد كان ماركس يرى ان التاريخ تحكمه قوانين مثل القوانين التي تحكم الطبيعة ولايمكن تغيرها بتدخل افراد يدفعهم هذا المثل الاعلى او ذاك بل انه كان يعتقد ان التجربة الشخصية الداخلية التي يعتمد عليها الناس في تبرير اهدافهم بعيدة عن ما يمكن ان تسمية حقيقة اخلاقية او دينية وانها مجرد ملكة تتولد عنها اوهام وخرافات فردية وجماعية ولما كانت هذه الخرافات تخضع للظروف المادية التي تنشا في ظلها فانها تتضمن ما يريده الناس باسائهم ولقد امن ماركس في ان القيم لايمكن التفكير فيها بمعزل عن الوقائع ولكنها تعتمد بالضرورة على الطريقة التي ينظر بها الى الوقائع فالبصيرة الصادقة اذا اعملت في طبيعة التطور التاريخي وقوانينه تكفي بذاتها من غير الالتجاء الى المستويات الاخلاقية المنعزلة ونتيجة لذلك لم يكن لدى ماركس أي مثل اعلى اخلاقي او اجتماعي يدعو الجنس البشري اليه، فهو لم يدع الناس الى تغيير ما بافندتهم اذ ان ذلك في نظرة احلالا لمجموعة من الاوهام محل اخرى.

ان ماركس لم يستخدم مصطلحي "المادية التاريخية" و"المادية الجدلية" بل انه تكلم عن"منهجهاالديالكتيكي" وعن الاساس المادي" لمنهجه الذي يشير من خلاله الى الشروط الرئيسية للحياة البشرية.

يرى ماركس ان الانسان هو الذي يصنع تاريخه فالبشر يمكن تمييزهم عن الحيوانات بالوعي او بالدين انهم بذاتهم يبداونبانتاج وسائل بقائهم من خلال هذا الانتاج يقومون بتنظيم حياتهم المادية الفعلية والعامل الجوهري في عملية الخلق الذاتي للعنصر البشري يتمثل في علاقات الانسان بالطبيعة حيث يكون الانسان في بداية تاريخه مكبلا ومقيدا بشكل اعمى الى الطبيعة الا انه في عملية تطوره يتحول بعلاقاته الى الطبيعة ومن ثم الى ذاته.

ويعطى ماركس اهمية(للعمل) فالعمل العامل الذي يصل الانسان والطبيعة انه جهد الانسان لتنظيم في علاقاته بالطبيعة والعمل هو تعبير الحياة الانسانية، وان علاقات الانسان بالطبيعة تتغير عبر العمل والانسان يغير نفسه بالعمل والعمل بالنسبة لماركس فاعلية وليس سلعة.

محاضرة (٣١)

المادية التاريخية الجدلية عند ماركس:

ان مبدا المادية التاريخية الجدلية هي ان المادة هي كل الموجود وان مظاهر الوجود على اختلافها نتيجة تطور متصل للقوى المادية ويوجه همه ماركس الى دراسة التاريخ الانساني ومن هنا جاء وصف مذهبيه بالمادية التاريخية اذ ان نمو الحياة الانسانية عنده فردية واجتماعية ويتوقف على الظروف المادية والاقتصادية وان درجة الحضارة تقاس بدرجة الثروة الزراعية والصناعية وان نوع الانتاج في الحياة المادية شرط تطور الحياة الاجتماعية والسياسية والعقلية وجد ان الناس هو الذي يعين وجودهم وانما وجودهم الاجتماعي الذي يعين وجدانهم والحياة الاقتصادية تحقق قانون الصيرورة من خلال(القضية–نقيضها– المركب) وهذه هي المادية الجدلية ومظهرها الاجتماعي الراهن"تنازع الطبقات" وان تاريخ هذه الصراعات الطبقية يشكل سلسلة من التطور حيث تعجز الطبقة المسئولة والمضطهدة– البروليتاريا– عن الحصول على تحررها من سيطرة الطبقة المستغلة والحاكمة– البرجوازية– دون تحرير المجتمع بكاملة من جميع الاستغلال والاضطهاد والامتيازات الطبقية وصراع الطبقات.

محاضرة (٣٢)

تلخيص كتابه راس المال:

لقد اراد ماركس ان يكون كتابه "راس المال" عرضا لعلم الاقتصاد، وكانت هذه الخاصية سببا قويا في رواج الكتاب، وفي هذا الكتاب مذهبا فلسفيا يتألف من المادية التاريخية والجدلية على طريقة(هيجل) ومن الشيوعية الاكادية التي هي نتيجتها.

يمكن تلخيص كتابه "راس المال" في اربع قضايا:

١.القضية الاولى:ان القيمة الحقة لكل سلعة تعادل كمية العمل المتحقق فيها، بحيث يعتبر العامل المصدر الوحيد لهذه القيمة ومن ثمة المالك الوحيد للسعلة وتقدر هذه القيمة بالزمن المخصص للانتاج مع مراعاة المتوسط تفاديا للاختلاف بين عامل واخر.

٢.القضية الثانية:ان النظام الرأسمالي يحرم العامل جزءا من قيمة عمله، وهذا الجزء هو الزيادة في قيمة السلعة وهو ربح صاحب المال، وهذا الربح يتكدس فيكون رأس المال، فراس المال "سرقة متصلة وافتات على العمل" وهو أداة سيطرة صاحب العمل على العامل: إذ أن الأول لا يدفع الى الثاني قيمة عمله وإنما يدفع إليه ما يسد رمقه بل اقل من ذلك اذا ارضى العامل تبعا لقانون العرض والطلب .

٣.القضية الثالثة:ان من شان الصناعة الالية متى استخدمها الطمع المطلق من كل قيد ان تزيد التعارض عنقا بين راس المال والعمل، وان كبار الماليين يتغلبون على الضعاف من منافسيهم ويؤلفون شركات قوية تستغل المال الى ابعد حد وينتهي الماليون المتواضعون واهل الطبقة الوسطى الى الانضمام الى صفوف المعوزين.

٤.القضية الرابعة:ان الطبقة العاملة وهي الحاصلة على الحق والعدد والقوة ستفوز على الماليين فتنتزع الملكيات بتعويض اصحابها وتجعل من الثروات والمرافق ملكية مشاعة بين الجميع.

ويخلص ماركس القوى في كتابه هذا الى ان التقدم الصناعي يجعل من المستحيل القوة الى الملكية الصغيرة وان من شان هذه الاستحالة ان يتحقق المجتمع الشيوعي وانقاض المجتمع الرسامالي ومهمة الحزب الشيوعي تكوين "عقلية الطبقة" عند العمال وتأليفهم حزبا سياسيا كفيلا بانتزاع السلطة وإقامة الدكتاتورية العمالية.